

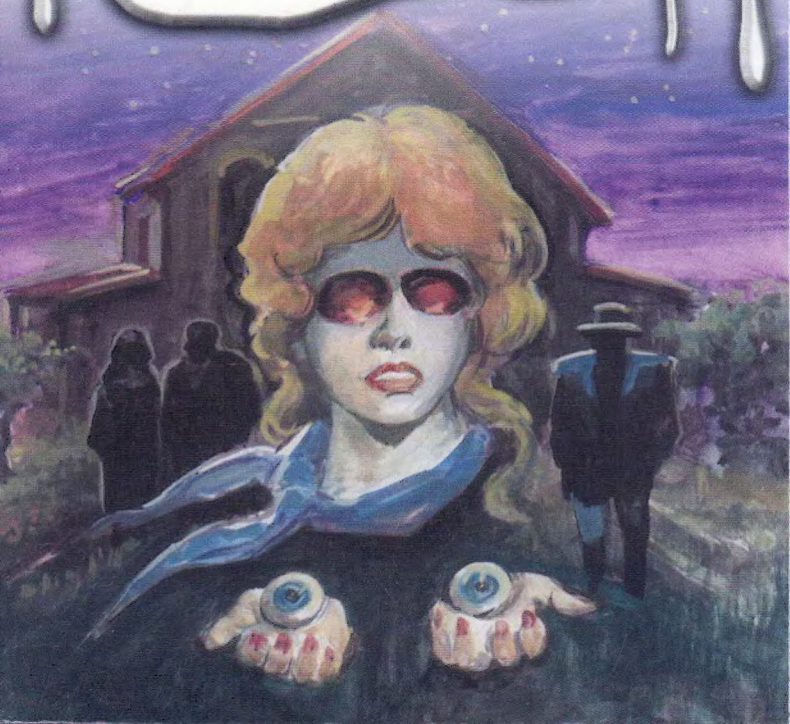
روايات مصرية للجيب



47

أسطورة المنزل رقم 5

ما وراء الطبيعة



ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات مصرية الجيب

أسطورة المنزل رقم 5

ولماذا المنزل رقم 5 بالذات ؟
لماذا هذا الإلحاح وهذا الحماس
المشبوب الذي يصل إلى درجة
القتل ؟ من هم ؟ من أين جاءوا ؟
هذا هو ما يحاول (رفعت
إسماعيل) العجوز معرفته ،
وبالطبع نحن معه



د. أحمد خالد توفيق



العدد القادم :
أسطورة المومياء

الناشر
مسة العربية الحديثة

الطبع والنشر والتوزيع
TAWFIK - AMAL - AL-KHAYAT
القاهرة - مصر

التمن في مص
ومايعادله بالدولار
في سائر الدول العر

47

روايات مصرية للجيب

ماورا: الطبيعة

أسطورة المنزل رقم (5)

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

إشراف

الأستاذ/ حمادى مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ١٠، ٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية - منافذ البيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى ووكسى
مصر الجديدة - القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

47

أسطورة المنزل رقم (5)

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للتبليغ والنشر والتوزيع

٢٥٨١١٩٧ - ٢٨٣٥٥٥٥ - ٥٩٠٨٤٤٤

فاكس : ٢٨٣٧٠٠٢

مقدمة

منتصف الليل ..

أنتم تعرفون طبعاً منتصف الليل .. إنه الوقت الذى ينتصف فيه الليل .. لا حاجة بالمرء إلى أن يكون خبيراً فى علوم الفيزياء كي يعرف هذا ..

منتصف الليل ، ولاصوت هنالك سوى الأمطار ، وصوت محرك الساعة الرتيب ، وقطة تعوى فى مكان ما بطريقة تجعلك تتساءل : هل هى حقاً قطة ؟ كل هذه الأجواء صارت مألوفة لكم ، كما صار صوت العجوز الأصلع النحيل ، بصوته المبحوح ، وعينيه اللتين تحملان أهوال العالم .. عينيه اللتين صارتا عيني مسخ فى حد ذاتهما ، حتى إننى لم أعد أعرف الخط الفاصل بين من رأى الأهوال وبين الأهوال ذاتها ..

تعالوا نصغ إلى قصة أخرى ..

لقد كتبت أربع ورقات ، على ظهورها كتبت عناوين
مثل (أرض العطايا) و (المقبرة) و (المنزل رقم 5)
و (القادم ليلاً) .. الأوراق مقلوبة ، فلم لا تجربون
اختيار ورقة منها ؟

طبعاً هذه محاولة عبثية ، لأن قدركم هو اختيار
الورقة التى تحمل اسم (المنزل ...) أليس هذا
هو عنوان الكتيب ذاته ؟!

لا تحاولوا تحدى مصيركم .. نعم .. سأحكى لكم اليوم
أسطورة المنزل رقم (5) ، وهى مسلية ككل
الأساطير والقصص التى تحوى رقم (5) فى عناونها ..
رعب ؟ يوجد القليل منه بالتأكيد .. ثم إن للقصة
طابعاً بارداً متوجساً قائماً يناسب أمثالى كثيراً ..

تعالوا نر ما يدور هناك ..
خلف أبواب المنزل رقم (5) ..

١- منزل السيدة (بانكروفت) ..

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

تسأليننى يا (ريم) عن سبب ذهابى إلى (أستراليا) فى ذلك الوقت بالذات .. تسأليننى عن سبب إقامتى فى (سيدنى) فى منزل مسز (بانكروفت) .. تسأليننى عن كل الرهبة والفرع اللذين يصيبانى كلما سمعت عن قصة أو شاهدت فيلمًا اسمه (المنزل رقم كذا ..)

أقول لك يا (ريم) : إن أسئلتك كثيرة جدًا ، وقد بدأت تتأثر أعصابى .. ليس أسوأ من المرأة التى تسأل كثيرًا إلا المرأة التى تسأل أسئلة تصعب إجابتها ..

أما لماذا ذهبت إلى (أستراليا) فشئىء يخصنى .. وقد كنت مدعوًا على كل حال فلم أدفع تذكرة الطائرة ، وهى الكفيلة بأن أتسول بقية حياتى ..

أما لماذا أقمت فى منزل مسز (بانكروفت) ، فلأنها كانت تعرض غرفة للإيجار ، وما كانت ميزانيتى لتسمح بالإقامة فى فندق لفترة طويلة ..

كانت عجوزًا بالطبع .. عجوزًا من الطراز
الإنجليزى الوقور البارد نوعًا ، لكنها كانت سيدة
طيبة بحق ، ولم تكن تتدخل فيما لا يعنيهها على كل
حال .. الحق أنها حتى لو تدخلت لما فهمت شيئًا من
لهجتها الأسترالية (التيجينية) إياها .. كل العالم
ينطق (ديفيد) كما نكتبها .. لكن الأستراليين
يصرون لسبب ما على أنه يُنطق (ضايض) ،
وغير هذا كثير ..

امرأة لطيفة مهذبة كانت يا (ريم) ، وساكنًا
صموتًا متحفظًا كنت .. وأحببتها أكثر حين عرفت
أنها لا تطبخ الزوار أو تحنطهم أو تطعمهم
للتماسيح كعادة عامة العجائز ..

المنزل يقع فى نهاية شارع طويل هادئ ، تحف
به الأشجار على الجانبين .. ثمة مقاعد يجلس
عليها العشاق أو المتظاهرون بالعشق ، وربما تجد
أمًا جالسة مع رضيعها فى عربته ، أو ذلك العجوز
الكئيب الذى تجده فى كل مكان ، الذى يعقد كفيه على
بطنه ، ويرجع رأسه للوراء ويغظ بصوت عال ..

أما أرضية الشارع فمرصوفة بذلك الطراز المضلع من الحجارة الذى يسمونه Cobble Stone أو حجر الإسكافى ، وهو على قدر علمى ليس مشهداً معتاداً إلا فى شرق أوروبا ..

وكنت فى الصباح يا (ريم) أذهب لإنهاء عملى الذى لن أذكر أية معلومات عنه ، ثم أعود فى الخامسة عصرًا لأجد العجوز - نصف الإنجليزية - جالسة فى المدخل تشرب شاي الساعة الخامسة مع البسكويت ذى نكهة الزنجبيل .. وتساألنى عما إذا كنت راغبًا فى مشاركتها الشاي ، فأقبل مرة وأعتذر مرات .. أنت تعرفين يا (ريم) أننى عازف عن أى نوع من العلاقات البشرية ، وأن القبر هو المكان الأمثل لأمثالى ..

بعد هذا أصدد إلى حجرتى ، فأقضى الوقت فى القراءة والكتابة والنوم والعصبية ، وسماع الإذاعة الأسترالية التى لا أفقه نصف ما تقول بسبب التطجين ..

طبعًا البرد شديد .. كل أستراليا عبارة عن ثلاجة كبرى ، لكن أحدًا لا يشعر بهذا سوى .. الصحة والرياضة والجمال فى كل بقعة هنا ما عدا غرفتى ..

وعند العاشرة مساءً أكف عن الغضب والسخط ،
فأنام آملاً فى يوم أكثر دفئاً ، وأن أعود إلى الوطن
بسرعة ..

★ ★ ★

متى بدأ كل شيء ؟

أعتقد يا (ريم) أن هذا كله بدأ فى الثامن من
مارس .. كنت عائداً إلى المنزل كالعادة ، لأجد
الباب مفتوحاً ، وكان هناك رجل فارع القامة من
الطراز الذى ما زال يعتمر قبعة .. لقد خلعها على
كل حال وهو يتحدث مع السيدة ، التى وقفت تصغى
إليه ، وتحرك رأسها فى صرامة ، ومن هذه
المسافة سمعتها تقول :

« نو .. نو .. نو (لا .. لا .. لا) »

والرجل يحاول بشكل مهذب أن يقطعها دون
جدوى .. مررت بجواره وحييتهما ، ثم اختلست
نظرة سريعة إليه .. كان فى الخمسين من العمر ..
مهيّب المنـد .. لماذا أصفه لك يا (ريم) ؟ كان

بوسعى أن أكتب لك صفحة أو صفتين فى وصفه ،
لكن هذا مجهود لا طائل من ورائه لأنك تنسين كل
شئ ، وعلى كل حال يكفى أنه كان أنيقاً مهيباً ..
لا شئ غير هذا ..

لم أتدخل فى الأمر طبعاً لأنه لا يعينى .. ودخلت
إلى مدخل المنزل حيث كان الشاى والبسكويت
ينتظران على العربة المتحركة .. إن هذا الضيف
اللحوح قد أفسد على السيدة شهيتها كما أرى ..

بعد قليل سمعت الباب ينغلق فى عصبية ، وعادت
إلى المدخل حيث كنت واقفاً وقد نسيت نفسى على
ما يبدو .. سألتها فى تهذيب :

« هل ثمة ما أساعدك به ؟ »

قالت بوجه مكفهر :

– « لا شئ .. إنه لحوح .. لكن الإلحاح يجعلى
عنيدة .. »

صعدت إلى غرفتى ونسيت كل شئ عن الموضوع ..
فقط قلت لنفسى إن الباعة الجوالين فى (أستراليا)
يبدون كأعضاء مجلس اللوردات الإنجليزى ..

تذكرت شيئاً غريباً يا (ريم) .. تصورى أننى لم
أصف لك المنزل بعد .. لا بد أنك فهمت من الكلام
أنه من طابقين ، وأنه مريح مهندم .. وأنه يحمل
رقم (5) .. هذا صحيح .. فى الحقيقة لا أعرف أين
يوجد المنزل السادس أو الرابع لأن الشارع خال
تقريباً .. لكن رقم (5) كان موجوداً فى كل مكان ..
على المدخل وعلى الباب وعلى صندوق البريد ..
وكان المنزل خالياً تماماً لأن السيدة ترفض كل
مستأجر يأتى لها ، لكن وضعى كان خاصاً (لأننى
فى سن النضج) كما قالت ، ولأن صديقاً أسترالياً
أوصاها على .. ولا بد أن طباعى المتحفظة المنغلقة
الشبيهة بطباع حيوان الخلد قد رافت لها كثيراً ..

لم يكن البيت بيتها منذ زمن سحيق .. لقد انتقلت
لتعيش فيه فى أوائل الأربعينات مع زوجها الخواجة
(باتكروفت) ، الذى كان محاسباً حكومياً .. وقد
توفى الرجل فى يوم استسلام (برلين) بالضبط ،
ومن يومها ظلت أرملة وحيدة .. ويبدو أن فكرة تأجير
غرفة لم تخطر لها إلا منذ عامين .. وكانت تنوى التوسع

لو نجحت الفكرة .. ثمة خمس غرف هنا تصلح
للإيجار للرجال الصلح نحيلى القوام ، الذين
يتصرفون كحيوان الخلد ..

أعود للموضوع ..

فى العاشرة مساءً دق جرس الباب ، وسمعتها
تفتحه ، وفى هذه المرة راحت تصرخ فى عصبية ،
ولم أميز من كلامها المتسارع سوى كلمة (بوليس) ،
وهى كلمة عالمية يعرفها الجميع .. قررت أن أمارس
دور رجل البيت ، فارتديت روبًا وهرعت إلى أسفل ،
لأجدها تتكلم فى حدة مجنونة مع ذلك الرجل المتحمس
الذى رأيته عصر اليوم ..

رأنى الرجل من فوق كتفها ، فنفخ فى ضيق ،
وقرر فيما يبدو أن ينهى المحادثة .. سمعته يقول
ضاغطًا على كلماته :

« يجب أن تقبلنى يا سيدتى .. يجب .. »

ثم لمس طرف قبعته بما يوحى بالتحية واستدار
مبتعدًا ليزوب فى الظلام ..

قلت لها فى حذر :

- « هذا البائع اللحوح ؟ لابد أنه مخبول .. »

- « ليس بائعًا .. إنه يشتري ولا يبيع ! »

بغباء سألتها :

- « يشتري ؟ يشتري أى شى ؟ »

أغلقت الباب وأحكمت وضع المزلاج والسلسلة ،
وقالت وهى تدسّ كفيها فى جيبى كنزتها الصوفية :

- « يريد أن يستأجر غرفة هنا لمدة أسبوعين ..

- « إنه حماس مبالغ فيه ، لكنى لا أرى ما يمنعك

من الموافقة .. لا يبدو لى من ذلك الطراز الذى ..
إنه - فيما أرى - رجل وقور كريم المحتد .. »

قالت فى غضب قاطع :

- « الرجال الوقورون لا يقرعون الباب ليلاً طالبين

منك ما رفضت منه بعد الظهر .. ثم إن شروطه
غريبة .. »

- « غريبة ؟ كيف ؟ »

تقدمتنى إلى داخل المنزل ، وقالت دون أن
تستدير لى :

- « يريد أن أخلى له المنزل تماماً .. منك ومنى
طيلة هذه الفترة ! يريد أن ينفرد ببيتى تماماً لمدة
أسبوعين كاملين !! »

★ ★ ★

٢ - الميجور القديم ..

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

★ ★ ★

أصابنى الوجوم لغرابة الطلب طبعا .. الرجل يريد
طرد المرأة من دارها لمجرد أنه يريد غرفة ..
والأدهى أنه يريد طردى كذلك ..

سألته وقد بدأت القصة تروق لى :

- « مقابل أى شىء ؟ »

- « مقابل أن يدفع إيجار ثلاثة أشهر .. »

هزئت رأسى فى استمتاع ، وقلت :

- « إن الجنون يفسر كل شىء .. »

قالت العجوز فى اشمئزاز :

- « لكنه لا يفسر الوقاحة يامستر (إسماعيل) .. »

ومن جديد راحت تزحف بخفيها الصوفيين متجهة
نحو غرفتها ..

★ ★ ★

فى الصباح جاء الميجور (برادبورى) ..

عرفت هذا لأننى كنت أهبط فى الدرج متجهاً إلى
وجهتى الغامضة ، حين وجدت صاحبة الدار جالسة
فى الصالة مع رجل أشيب له شعر قصير على
جانبى الرأس ، وشارب كثر كقرشاة البلاط ..
باختصار كان يبدو كهؤلاء الجنرالات الإنجليز الذين
نرى صورهم فى كتب تاريخ الحرب العالمية .. لن
أندهش لو كان هذا الرجل قد حارب فى (العلمين)
مع (مونتجرى) ..

قلت شيئاً ما ، وكدت أرحل ، لكن المرأة قالت فى
مرح :

— « تعال يا د. (إسماعيل) .. أقدم لك الميجور
(برادبورى) الذى كان صديق المرحوم زوجى .. »



كنت أهبط الدرج متجهًا إلى مهمتي الغامضة حين وجدت صاحبة الدار
جالسة في الصالة مع رجل أشيب له شعر قصير على جانبي الرأس ..

يعنى لو كان زوجها قد مات فى سن الثلاثين ،
فعمر هذا الميجور لن يقلّ عن ستين عامًا .. لابد
أنه - فعلاً - شارك فى الحرب العالمية الثانية ..
غالبًا مع الفيلق الأسترالى فى أوروبا ..

لم أصافحه لأن طباع الإنجليز والأستراليين واحدة
فى هذا الصدد .. نظر لى نظرة عسكرية حادة ، ثم
غمغم بتحيةة ما ، وفى يده رأيت صورة فوتوغرافية
صغيرة اصفرّت من القدم .. قال وهو يعبث بشاربه :

- « رباه ! ياله من دهر ! أستطيع هنا أن أميز
(جين) و (آرثر) و (إليزابث) ، يالها من
مسكينة ! »

قالت المرأة فى حزن غامر :

- « أوه ! إن السرطان يحسن انتقاء ضحاياه ..
حسبتك لا تعرف أنها ماتت .. »

ابتسم فى مرارة ، وقال :

- « كنت فى مصر حين أخبرونى بالنبا .. »

مصر ؟ إذن (إليزابيث) المسكينة هذه توفيت منذ أكثر
من عشرين عاماً .. لكنهما حزينان كأنها ماتت حالاً ..
لم أر داعياً لبقائى أصغى لكل هذا الهراء ..
عجوزان يتبادلان ذكريات ثمينة لكنها لا تهمنى على
الإطلاق .. وتذكرت كيف أن كل أب مولع بأن يحكى
لك ما يفعله صغيره .. كيف يبصق على الضيوف
وكيف يبلى السجادة بالبول وكيف .. معتبراً هذه
معجزات صغيرة ، بينما أنت لا تبالى على الإطلاق ..
الذكريات بضاعة لا قيمة لها إلا فى خزانة صاحبها ..
غادرت الدار متجهاً إلى مهمتى الغامضة ..

★ ★ ★

وعندما عدت فى الخامسة عصرًا ، كان الميجور
ومضيفتى يشربان الشاى طبعًا ، ويبدو أنهما لم يفرغا
من ذكريات كل من مات بالسرطان من الأحباب ..
على غير عاداتها الصموت الوقور ، هتفت مسر
(باتكروفت) :

- « خمن ماذا ! إن الميجور (برادبورى) راغب
فى الحصول على غرفة هنا .. »

أطلقت صغير دهشة وأنا لا أبالي شعرة بهذا ،
وقلت لها فى حماسة :

- إنه النزيل المرتقب طبعًا .

ابتسمت المرأة - مرضعة (أمنحات) - فى دلال
أنثوى مزعج .. فالميجور بالطبع يمثل لها جزءًا
عزيزًا من شبابها ، حين كانت شابة وربما جميلة ،
وكانت حياتها تبدأ ولا تنتهى ..

قلت لنفسى : لا بأس .. صحيح أن الرجل سمج
نوعًا ، لكنه سيضفى بعض التجديد على حياتنا
المملة .. وعلى الأقل هو لم يطالب بطردى .. »

وصعدت إلى غرفتى ، لأبدأ طقوس الأمسية
المعتادة .. وكل ليلة التهمت عشائى فى غرفتى ،
وهو بعض الشطائر التى أبتاعها من الخارج ، ثم
أعددت لنفسى بعض الشاى فى المطبخ ، وكتبت
بعض الرسائل وتأهبت للنوم ..

وعند منتصف الليل قرع أحدهم جرس الباب عدة
مرات ، وسمعت المرأة تفتحه وتزجر أحدهم هذا
مرارًا ، وتردد لفظة البوليس .. الغريب هنا أنه من

الواضح أن الميجور لم يظهر فى الصورة قط ..
المفترض أن ينزل ليشدّ من أزر زوجة صديقه
المرحوم ، أو كما يقولون فى العامية عندنا :
(يعمل أى منظر) ..

أدركت من الصوت الثانى أن القادم هو بلاشك
ذلك المجنون المتحمس الوقور الذى يبغى طردنا ..

لم أهبط من غرفتى هذه المرة لأننى لست الرجل
الوحيد هنا ، ثم إن مفاهيم (الجدعنة) العربية هذه
لا تسرى فى أستراليا ، ولن ترى المرأة سوى أننى
مجرد طفيلى آخر يهوى التدخل فيما لا يعنيه ..

سمعتها توصل الباب فى شراسة ، ثم سمعت
هدير القرص مما يعنى أنها تنفذ تهديدها بالفعل ..
لكن صوتاً حازماً جاء من قريب يقول :

- « تمهلئ يا (جلاديس) .. »

كان هذا هو الميجور بالطبع ، وفيما بعد أدركت
أنه هبط فى الدرج كى يشرح لها أسبابه : لماذا
لا يجب أن تتصل بالبوليس .. وهى أسباب مقنعة
بالتأكيد لأنها كفت عن المحاولة ..

ولا أدري يا (ريم) متى سقط القلم من يدي
ونمت ..

★ ★ ★

فى اليوم التالى جاء (جيمس شرودر) وزوجته
الحسنة (كارلا) ..

كان ذلك فى الصباح المبكر ، وأدركت حين
رأيتهما أنهما فى الغالب متحمسان بعنف للإقامة فى
المنزل رقم (5) ..

كانا يقدمان عرضاً مهماً للعجوز ، والمرأة ترفض
باستمرار وإصرار .. هل تعرفين ماذا كانا يطلبان ؟
نعم .. يطلبان الإقامة بشرط إخلاء المنزل لهما .. كيف
عرفت ؟ إنك صرت عبقرية هذه الأيام يا (ريم) ..

بالطبع لم تعد الفكرة واردة أصلاً ، لكن المرأة
العجوز كانت أقل شراسة فى رفضها .. ربما بسبب
أن الزوجين كانا جميلى الشكل مبهرين ، ولكل
جمال هيبه كما يقول (توفيق الحكيم) .. كانا بالغى
الأناقة ، وبرغم أننى لم أعد أميز هذه الأشياء فإننى
أدركت أن الفتاة فاتنة ..

مررت بالزوجين وحييتهما بهزة رأس ، لكنهما
راحا يرمقاني بفضول غير عادى ، حتى حسبت
أننى نسيت ارتداء البنطال .. ثم همس الشاب للعجوز :

- « من هو ؟ »

- « هذا ليس شأنك ، لكنى - كى أريحك - أقول
إنه طبيب مصرى .. نزيل عندى .. »

ونظرتُ لهما نظرة ثاقبة ، لكنهما تبادلًا النظرات
- الرجل وزوجته - ثم رأيته يهز رأسه نافيًا كمن
يقول : لا .. ليس هو ..

تباطأت فى الابتعاد لأسمع ما يقول ، فجاءنى
صوته الرخيم يسأل العجوز (وأدركت من نغمة
الكلام أنه يعرض عليها صورة فوتوغرافية) :

- « هل رأيت هذا من قبل ؟ »

- « هذا ليس شأنك .. »

- « هل جاء يطلب غرفة ؟ »

- « إننى أتكلم الإنكليزية أيها الشاب .. »

عاد يقول فى إصرار :

- « لو جاءك يطلب غرفة ، فأنا أنصحك ألا تقبلى

هذا شىء لا مزاح فيه .. »

أدركت من الكلام أن المرأة ترى الآن صورة
شخص ما غير مرغوب فيه ، لكن من هو ؟ « أنا
أتكلم الإنجليزية » .. قالتها بثقة كأنما هى فعلاً
تتكلم الإنجليزية ، وكأن (الأسترالية) ليست لغة
مستقلة منفصلة ..

كنت قد ابتعدت عن الأصوات ، فرحت أمشى فى
الشارع الهادئ أفكر ..

ما معنى هذا كله ؟

لماذا صار المنزل رقم (5) فجأة أهم منزل فى
الكون ؟ «

★ ★ ★

٣- وتجيء (ساندرا) ..

ولماذا الرقم (5) بالذات ؟

★ ★ ★

وفى المساء عدت لأسمع ضحكات عالية صاخبة
من قاعة الجلوس .. كنت قد تأخرت قليلاً هذا اليوم ،
لذا لم أتوقع أن أجد جلسة الشاي إياها ..

اتجهت إلى الدرج ، فقط لأسمع خطوات مرحة
وثابتة من ورائي .. واستدرت لأجد فتاة فى العشرين
من عمرها تركض حافية ، وهى تلوح بزجاجة يفور
الزبد من فوهتها .. فما إن رأتنى حتى بدا عليها
الخلل ، وقالت مبهوثة :

- « معذرة .. ما كنت أحسب هناك شخصاً آخر

سوانا .. »

وفى اللحظة التالية يا (ريم) برزت مسر
(باتكروفت) من حجرة الجلوس لترى المشهد ،

فَقَالَتْ وَهِيَ تَضْغُظُ عَلَى صَدْرِهَا كَيْ تَكْتُمَ الضَّحْكَ :

- « أَسْتَمِيحُكَ عِذْرًا يَا د. (إِسْمَاعِيل) .. لَا شَيْءَ
يُمْكِنُهُ كِبَاحُ جَمَاحِ الشَّبَابِ .. إِنْ (سَانْدِرَا) تَحْتَفِلُ
كَمَا تَرَى ، وَإِنَّا لَنُرْحَبُ بِانْضِمَامِكَ إِلَيْنَا .. »

قَلْتُ لَهَا فِي تَعَاسَةٍ : إِنِّى لَا أَهْوَى الْحَفَلَاتِ ، خَاصَّةً
تِلْكَ الَّتِى تَوْجَدُ بِهَا زَجَاجَاتُ يَفُورُ مِنْهَا الزَّبَدُ ..
وَلَكِنْ مَنْ هِىَ (سَانْدِرَا) ؟

طَوَّقَتْ كَتِفَ الْفَتَاةِ بِذِرَاعِهَا ، وَقَالَتْ :

- « (سَانْدِرَا) هِىَ ابْنَةُ أَعَزِّ صَدِيقَةٍ لِى ، وَأَنَا لَمْ
أَلْقَاهَا مِنْذُ عَشْرَةِ أَعْوَامٍ .. إِنِّى بِمُثَابَةِ خَالَتِهَا .. »

وَتَأَمَّلْتُ الْفَتَاةَ بِدَقَّةٍ .. الْحَقُّ أَنَّهَا جَمِيلَةٌ .. لَا يَنْكُرُ
هَذَا إِلَّا أَحْمَقٌ ، لَكِنِّى لَمْ أَحِبَّ عَيْنَيْهَا قَطُّ ، وَبِنَظَرَةٍ أَدْقَ
أَنْدَهَشْتُ مِنْ مَنَظَرِ الْعَيْنِ فِي الْقَرْنِيتَيْنِ .. إِنْ عَيْنَيْهَا
زُرْقَاوَانٌ ، لَكِنِ إِنْسَانَى الْعَيْنِ كَانَا أَسْوَدَيْنِ مُحَدَّدَيْنِ بِدَقَّةٍ ،
كَأَنَّمَا هُمَا ثَقْبَانِ صَنَعَا بِدَبُوسٍ فِي الْعَيْنَيْنِ .. مَنَظَرٌ
طَبِيعِىٌّ وَرَبِمَا مَعْتَادٌ ، لَكِنَّهُ مَزَعَجٌ إِلَى حَدٍّ مَا ..

حَيَّيْتُ الْفَتَاةَ وَصَعَدْتُ إِلَى حَجَرَتِى ..

لقد صار المنزل رقم (5) أكثر منازل العالم
ازدحاماً فيما يبدو .. وإلى حدّ ما أنا مسرور لأن
المنزل لم يعد مسكوناً بثلاث موميאות تنتظر الموت
(أنا والعجوز والميجور) ، لكن الأمر صار غريباً .

هذه العجوز حمقاء إن لم تندهش لهذا كله ..

حمقاء إن لم تتحول دهشتها إلى رعب ..

يوجد لغز ما في المنزل رقم (5) ، وهذا اللغز
جعل الجميع متحمسين للبقاء فيه ..

وما شأنى بهذا على كل حال يا (ريم) ؟ إنهم
أستراليون (فى بعض) ، وهم أحرار على كل حال .

كان آخر من جاء يا (ريم) هو (جيسون) وقد
جاء فى صباح اليوم التالى ، ودارت بينه والعجوز
محادثة قصيرة ..

كان ضخم الجثة كالباب ، يبدو عليه العنف ،
ومن الجلى أن المشاجرات تروق له .. وكان وجهه
كتلة من الشعر لها لسان أحمر يبرز من مكان ما ،
ما بين اللحية والشارب والحاجبين الكثين .. لا أدرى

أين رأيت لوحة كاريكاتورية تمثل سبع البحر ،
وكان يبدو كهذا بالضبط ..

كان يقول لها وهو يلوح بإصبع غليظ فى وجهها :
- « اسمعى يا سيدة .. حين يطلب (جيسون)
غرفة فهو يحصل عليها .. »
وكانت تقول فى ثبات :

- « ليس لدى شىء ، فعد إلى الحانة التى جئت
منها .. »

- « إن من يعيشون تحت سقفك لن يقدموا لك
خدمة ما .. عليك أن تعرفى أين المصلحة .. »
- « أغرب قبل أن أستدعى رجال الشرطة .. »

ثم توقف عن الكلام حين رأتى ، واتسعت عيناه
الشرستان دهشة ، وراح يرمقنى باهتمام .. يبدو
أن منظرى أغرب مما تصورت ..
قلت له فى كياسة :

- « ياسيد .. السيدة تعرف إن كانت تريد أن
تؤجر غرفة أم لا .. هذا من حقها .. »

هذا هو ما قلت ، حتى لا أجد قبضته الغليظة
مدفونة فى وجهى حتى عظمة السرج التركى فى
قاع الجمجمة ..

لكن رد فعله فاق تصوراتى .. لقد تدلى وجهه ،
وهتف بصوت كالفحيح :

- « (ميدا) ! هل هذا أنت ؟ » .

قالت العجوز فى اشمئزاز :

- « اسمه هو (إسماعيل) .. ثم هذا ليس من
شأنك ! »

لكن الرجل واصل النظر إلى :

- « (ميدا) ! هل أنت ؟ هل تفهم ما أتكلم عنه ؟ »

قلت وقد بدأت أعتقد فيه الخبال :

- « ولا حرف يا سيدى .. وإن السيدة لجادة فى
تهديدها .. »

استدار مبتعداً وهو مازال يرمقنى من فوق كتفه .
حتى غاب عن البصر ، واللحظة حسبت أن شخصيتى

الجبارة هى ما أرغمه على التراجع .. هكذا يجب أن
يُعامل الرعاع ، ثم فطنت إلى أن فى الأمر سرّاً
لا أدريه ..

وهنا فقط انفجرت ..

صحت فى العجوز :

- « ما سر هذا البيت يا مدام ؟ وما سبب هذا
الحماس المجنون للسكنى فيه ؟ »

قالت ما معناه (علمى علمك) ، ثم أطرقت قليلاً ،
وهمست فى قلق :

- « د. (إسماعيل) .. أصارك أننى خائفة ..
أنا عجوز وحيدة ضعيفة ، وثمة شىء ما شرير
يجرى هنا .. »

قلت لها فى حلق :

- « لست وحيدة .. لديك الميجور و (ساندرا) .. »

- « بل إنهما يزيدان الأمور سوءاً .. »

- « ماذا تقصدين ؟ »

أغلقت الباب علينا من الخارج ، بحيث صرت أنا

وهي خارج المنزل ، ونظرت لأعلى تتأكد من أن أحدًا لا يراقبنا من نافذة ما ، ثم همست :

- « إن التشابه تام ، ومعلوماتهما دقيقة .. لكن مع الثثرة الطويلة لا بد من أن تفلت تفاصيل تجعلك تتردد .. هل حقًا الأمر كما حسبت ، أم أنك وقعت في خلط مريع ؟ »

بغواء عدت أسألهما :

- « ما زلت لا أفهم .. »

نظرت حولها مرة أخرى لتتأكد من أن أحدًا لا يسمعها ، وهمست :

- « هذان لا يمكن أن يكونا (ساندرا) والميجور .. هذان الاثنان ممثلان يلعبان دورهما ببراعة ! » م

★ ★ ★

٤- هل أنت خائف مثلي ؟!

فتحت الباب ، وصاحت :

- « (ساندرا) يا عزيزتى .. أنا ذاهبة إلى مكتب البريد لأسأل عن معاشى .. أرجو أن تغنى بالبيت حتى أعود .. أنت ملاك يا عزيزتى .. »

ثم أغلقت الباب وتأبطت ذراعى محاولة ألا تتعثر .. الحقيقة أن مسز (باتكروفت) لم تكن تحب الشارع ، ويبدو أن الشارع لا يحبها كذلك .. وانثنى كاحلها تحتها مرة أو مرتين ..

مشينا بضع خطوات فى الطريق الهادئ ، حيث لا أحد إلا الرجل العجوز النائم كالعادة .. فما إن ابتعدنا مسافة كافية حتى نظرت للوراء ، وهمست :

- « حتى لا يسمع أحد ما نقول .. »

ولم أكن بحاجة للشرح على كل حال ، فالأمر واضح .. لكننى لا أطيع أن أمشى فى الشارع وقد تأبطت امرأة ذراعى ، خاصة إذا كانت خادمة الملكة (أياح حتب) ..



ولم أكن بحاجة للشرح على كل حال ، فالأمر واضح .. لكنى
لا أطيق أن أمشي فى الشارع وقد تأبطت امرأة ذراعى ..

سألتها وأنا ألهث لأنها تتشبث بذراعى بقوة :
- « ما الذى يدعوك إلى الظن بأن هذين يتصنعان ؟ »
قالت وهى تلهث بدورها :

- « ثمة أخطاء صغيرة فى كلامهما لاتروق لى ..
أخطاء لا يهيك أن تعرفها ، لكنها كثيرة .. مثلاً
زوجى لم يذق الخمر فى حياته بينما الميجور يحكى
عن ولع زوجى بالويسكى .. صديقتى لم تكن تعرف
كيف تصنع فطيرة التوت ، و (ساندرا) تحدثت
عرضاً عن فطيرة التوت التى أعدتها أمها .. أشياء
من هذا القبيل ..

« إننى صرت عجوزاً سهلة الخداع ، ويبدو أن هناك
من يعرف أننى لم أر الميجور من عقود ، ولم أر
(ساندرا) منذ كانت فى العاشرة من عمرها .. لكن
يظل السؤال هو : كيف يعرف هذان كل هذا عنى ؟ »

كنا الآن فى شارع رئيسى تتسابق فيه السيارات
- على اليسار كالعادة - ولاحظت أنها تقصد مكتب البريد
فعلاً .. لعلها تحسب هناك من يراقبها إذن .. سألتها :
- « وما الذى يدفع هذين لانتحال شخصيتين ؟ »

- « لنفس السبب الذى جاء من أجله الآخرون .. إنها الطريقة المثلى للمبيت تحت سقف البيت .. أنت تعرف أننى طرقت كل من حاول السكنى هنا ما عداك .. ويبدو أن هناك من فهم أن الحيلة هى السبيل الوحيد .. »
سررنى أنها بدأت تلاحظ .. فكففت عن السير
وسألتها :

- « مسز (باتكروفت) .. لاحظت أن هناك حماساً شعبياً غير مسبوق للإقامة عندك .. فهل تعتقدين أن هناك سبباً محدداً لهذا الحماس ؟ »
- « لا أعرف .. »

- « هل البيت مشيد فوق كنز أو شىء من هذا القبيل ؟ »

- « لا أعرف .. إنه قديم جداً ، لكن لا توجد أية أسطورة تحيط به لو كان هذا ما تقصد .. »

ساد الصمت من جديد ، وبعد تفكير سألتها :

- « ماذا تنوين عمله ؟ »

- « لو كنت أعرف لما سألتك .. »

هذه هى المشكلة .. ليست المبارزة مبارزتى ،
لكنها مصرّة على أن تناولنى السيف وتتنحى ..
وعلى أن أقول شيئاً رائعاً مقتعاً لا أبدو به سخيّاً ..
قلت لها :

- « لم لا تطلبين الشرطة ؟ »

- « ثمة احتمال واه أن يكون هذان هما الميجور
(ساندرا) وقد خاتمتها الذاكرة .. أعتقد أنه سيكون
موقفاً سخيّاً .. »

انتابنى الغيظ ، فقلت لها :

- « إذن ما المطلوب منى ؟ »

- « أن تبقى معى .. أشعر بالخوف الشديد .. فهل
أنت خائف مثلى ؟ »

- « ليس تماماً .. ثم إن وقت إقامتى قد أوشك على
الانتهاء .. إن هى إلا أيام وأرحل .. ولا أرى أن .. »
فتحت كيس نقودها ، ووقفت أمام أحد باعة
الصحف ، وانتقت جريدة الصباح وقالت :

- « نعم .. معك حق .. أحياناً أتمنى أن يكون لى مكان آخر أذهب إليه .. من الجميل أن يترك المرء كل المشاكل ويركب طائرة ويحلق مبتعداً .. »

وفى هذه اللحظة مرت بنا سيارة مسرعة ، بعثرت بعض ماء الأمطار السابقة المحتشد على جانب الرصيف فى وجهنا .. كدت أطلق السباب لولا أننى تصلبت حين رأيت من فى السيارة .. إنهم أربعة أفراد .. السائق هو الأخ الشرس الذى عرفناه باسم (جيسون) ، وجواره الرجل الوقور الذى يريد طردى ، وفى المقعد الخلفى يجلس الزوجان الجميلان ..

هذا غريب !

إذن كل هؤلاء السادة متعارفون وعلى علاقة وطيدة .. إذن لماذا يأتون منفردين ؟

لم تر العجوز ما رأيت فقررت ألا أخبرها ، فهى لن تستنتج من هذا شيئاً مفيداً ، وفى الغالب سيتوقف قلبها ذعراً ..

★ ★ ★

فى المساء دقّ أحدهم على باب غرفتى ،
فتحنحتُ .. لم يفتح الباب برغم أنه من الواضح أن
النحنة ذات مدلول عالمى ..

- « ادخل ! »

كذا صحت فى عصبية ، فانفتح الباب .. بالطبع
لم تكن العجوز لأنها لا تدخل حجرتى إلا نهاراً ، ولم
يكن الميجور لأنه لا يطبق رؤيتى .. كانت (ساندرا)
طبعاً ..

توجستُ خيفةً لرؤيتها لأننى - كما قلت - لم أحب
وجودها قط ، ولم أستطع قبول الاعتقاد العام بأنها
رائعة ..

كانت ترتدى بلوزة سوداء وتنورة رمادية أنيقة ،
وبدا لى أنها فرغت حالاً من الأكل لأنها كانت تلوك
شيئاً ما ..

دنت منى وتأملت أوراقى فى دلال ، وقالت :

- « ما هذا الذى تكتبه ؟ »

- « مذكرات .. »

راحت تمرر إصبعها على الحروف كطفل وقالت :
- « هل هذه هى اللغة العربية ؟ كيف تقرأونها ؟ »
- « كما يقرأ الهنود الأوردية ، واليابانيون
اليابانية .. »

- « وما معنى هذا المكتوب ؟ »

قلت فى صبر :

- « معناه : أننى لا أرحب أبداً بمن يقتحم خلوتى
ليسألنى عما إذا كنت أكتب بالعربية ! »

والحق أن تصرفها بدا لى غير لائق .. دعك من
موضوع أننى رجل .. فهم هنا لا يعلقون أهمية على
هذه الأمور ، ثم إننى أبدو كمومياء .. السخيف هنا
هو افتتاح الحجرة دون استئذان .. التطفل على
خصوصية شخص غريب تماماً عنها ..

وتأملتُ عينيها فى ضوء المصباح ، فازددت
رعبا .. من جديد أشعر كأن إنساتى عينيها ثقبان
فى جدار العين .. وقد جعل الضوء اللون الأزرق
يبدو كأنما يتوهج ..

قالت بلهجة جادة حازمة :

- « دعك من المزاح وقل لى .. كم من الوقت

تزمع البقاء هنا ؟ »

قلت لها مندهشًا :

- « ليس كثيرًا .. لماذا ؟ »

قالت ضاغطة على كل حرف :

- « لو كنت تنوى البقاء حتى العشرين من مارس ،

فلا تفعل .. أنصحك ألا تفعل .. غادر هذا المنزل كأن

الجحيم يطارك ! »

تجمد الدم فى عروقى هلعًا ، وسألتها متوجسًا :

- هل لى أن أعرف السبب ؟ »

ضغطت بأسنانها على شفتيها فى عصبية ، إلى

درجة أن الدم راح يسيل منها .. وقالت :

- « لن أتكلم أكثر .. ولكن لا تقل إننا لم ننذرك ! »

ثم مدت يدها فالتقطت أحد المناديل الورقية التى أضعها

أمامى ، وضغطت به على شفتها السفلى واستدارت

مغادرة الغرفة ..

تاركة إياي أرتجف كالورقة ..

كنت دائماً أقول إن الخطر المعنوي أشد إيذاءً من
الخطر المادي .

وما كان تهديد الفتاة نفسها ليثير ذعري ، لكن
الغموض الذي توحى به كلماتها هو ما جعل قلبي
يرتجف ..

العشرون من مارس ! هذا هو الموعد المرتقب ..
لأى شيء بالضبط ؟

لا أعرف حقاً .. لكن على أن أفر من هنا قبله ..

ونظرت إلى التقويم على الجدار ..

كان هذا هو اليوم السادس عشر من مارس ..
وبعد ساعة سوف أنزع هذه الوريقة ، ويبقى على
الموعد ثلاثة أيام ..

★ ★ ★

ثلاثة أيام !

ولكن على ماذا ؟

★ ★ ★

٥ - ستة وواحد ..

قررت أن يكون اليوم التالى إجازة ..

أنت تعرفين يا (ريم) أن الهدف الذى جئت من أجله شارف الانتهاء ، وأن قضية المنزل راحت تؤرقنى ..

فى الصباح استيقظت على راحتى ، وكنت قد نمت طويلاً بعدما سهرت إلى ساعة متأخرة .. غادرت المنزل ومشيت فى الشارع الهادئ المبتل من أمطار ليلية ما ..

لم تكن المدينة فى الشوارع ، فهى ساعة متأخرة من النهار حيث الكل فى عمله .. مشيت الهوينى قاصداً دار البلدية ..

لماذا دار البلدية ؟ لأننى قد أظفر بمعلومات عن هذا البيت الغامض .. أنت تعرفين أن كل هذه البيوت فى قصص الرعب بنيت فوق مقبرة هندية قديمة

- لم يكن هناك هنود فى استراليا - أو فوق كنز من كنوز الإرتك ، أو يخافها الناس لأسباب تطول ..

لم أجد ما أردت بسهولة ، بالإضافة إلى أن التفاهم عسير جداً معهم هنا برغم أننا نستعمل نفس اللغة الإنجليزية ، وفى النهاية تطوَّع موظف متحمس بأن يبحث لى عن المعلومات التى أردتها .. وكانت النتيجة مهمة :

أولاً : لا توجد أية أساطير تحيط بالمنزل ..

ثانياً : تم بناؤه عام ١٨٨٤ .. أى أنه يدنو من مائة عام الآن ..

ثالثاً : صاحب المنزل القديم يدعى (ألفرد أوسبورن) ، وهو آخر من امتلك المنزل بعد أبيه ، ولم يتزوج أو ينجب ، وقد سافر إلى إنجلترا بعد الحرب .. لكنه باع المنزل عام ١٩٤١ لآل (باتكروفت) .. ولم يكن ساحراً ولا ممن يأكلون لحم الأطفال ، وبالطبع لم يبع روحه للشيطان ..

المنزل ليس أثراً وليس تحفة فنية ، ولا تعلق عليه البلدية أية أهمية ..

شكرت الرجل على هذه المعلومات القيمة .. نعم
هى قيمة من حيث النفس .. وأنا طبيب وأعرف أن
نتيجة اختبار الورق النافية قد تكون أكثر أهمية من
النتيجة المؤكدة ..

لا أهمية للبيت ولا يوجد خطر يحوم حوله ..
إذن لماذا يصّر هؤلاء السادة على السكنى فيه ؟

★ ★ ★

وفى اليوم التالى كنت عائداً إلى المنزل حوالى
الواحدة ظهراً ، وأنا قد عدت إليه فى كل وقت ممكن
ما عدا ما قبل الثالثة بعد الظهر .. فهذا إذن طور
زمنى لم أشرف بالتواجد فيه قط ..

كنت الآن عند بداية الشارع ، وكانت الإشارة
خضراء تسمح بمرور المارة .. توقفت لحظة كى
أحكم معطفى حول جسمى ، وكى لا أتجمد ..

على الجهة الأخرى من الطريق ، لمحت الشكل
المميز للعجوز تهّم بالمرور .. كانت تحمل حقيبة السوق

السوداء المطرزة بالكاتفاه ، وقد بدا عليها الهمّ
والشرود .. كانت غارقة فى محيط أفكارها ..
ولكنها - على الأقل - كانت تعرف أن الإشارة تسمح
بالمرور ، والشارع لم يكن مزدحمًا على كل حال ..

هنا يا (ريم) - كما يحدث فى أفلام الرسوم
المتحركة - برزت من لا مكان سيارة مندفعة زلزلت
أرض الشارع زلزلة ، ووضعت السيدة قدمها على
الأرض ، حين عرفت على الفور ما سيحدث ..
رفعت كفى صارخاً ..

- « مسز (بانكروووووفت) ! »

لكن السيارة كانت أسرع من الصوت .. أسرع
من صرختى ، وسرعان ما طارت العجوز فى
الهواء ، واندفعت السيارة مبتعدة ، وكانت لوحتها
الخلفية أكثر ازدحامًا بالأرقام من أن أتذكره ..

وجريت عابراً الطريق إلى كومة الثياب التى كانت
مسز (بانكروفت) من دقائق ، وطار عقلى شعاعاً ..
ثمة لمسة درامية مخيفة فى الموت المفاجئ ،
وهو بالتأكيد يختلف كثيراً عن الموت البطيء الذى

يستغرق شهوراً أو أياماً ، مع الكثير من الأتئين
والسعال والوصايا .. لمسة درامية تبرر هذه
الرجفة فى ساقى وضربات قلبى المضطربة ، ويدى
التي عجزت تماماً عن الوصول إلى علبة أقراص
(النتروجلسرين) فى جيب البذلة تحت المعطف ..

ركعت جوارها ، وكأنت فاقدة الرشد - طبعاً - لكنها
لم تمت .. ثمة كسور لا بأس بها فى عدة مواضع ،
ونزف داخلى فى الغالب لكنها كانت تتنفس ..

ووقف بعض المارة يرمقون المشهد فى لامبالاة ،
باعتبار أن من حق أى إنسان أن يموت فى الشارع ،
وكان التدخل قلة ذوق وافتقار إلى التهذيب ..

صحت فيهم أن يطلب أحدهم الإسعاف بحق السماء ،
وظهر رجل شرطة عابس من مكان ما وسألنى
أسئلة تقليدية عن السيارة .. أوصافها .. إلخ ..

أخيراً جاءت الإسعاف ، وعرفت أنه ليس من حقى
الركوب مع العجوز لأنه لا مكان لى .. هكذا عرفت
اسم المستشفى وركبت أول سيارة أجرة قابلتها
ولحقت بالمصابة هناك ..

★ ★ ★

لا بد أن الأمر استغرق دهوراً يا (ريم) ، لكن الساعة قالت لى إن ثلاث ساعات مرت ، حتى سمح لى بالدخول إلى غرفتها ..

كانت مضمة كالمومياء ، وكمية من الجبس تصلح لبناء معبد فرعونى ، ولكنها كانت تتنفس وتبتسم ..

دنوت منها متهيّباً وسألتهما سؤالاً سخيّاً :

- « كيف حالك يا مسز (بانكروفت) ؟ »

ضحكت لثانية ، ثم آلمتها الجروح فتأوهت ، وقالت :

- « آى ! حالى كما ترى .. لكن هؤلاء السادة لم

يعلموا أية عجوز صلبة هى أنا .. »

ثم نظرت لى بعينيها الزرقاوين الرماديتين

المنهكتين ، وقالت :

- « هل ستعود للإقامة فى المنزل ؟ »

قلت لها وأنا أمرر عنقى عبر غابة الخراطيم

المحيطة بها :

- « ليس لى مكان آخر أذهب إليه .. وفى الغالب
سأؤجل سفرى قليلاً حتى أتأكد من أنك بخير .. »

قالت فى حزم :

- « لا تبق فى المنزل ! »

- « ولكن .. الإيجار .. و ... »

- « دعك من هذه السخافات .. اذهب الآن واجمع
حاجياتك ، ثم ابحث عن أى فندق .. لو اضطرت
إلى المبيت فى الحديقة العامة فلا تتردد .. »

فكرتُ هنيهة ، ثم قلت :

- « لم أخطر الميجور و (ساندرا) بعد .. »

- « لا تفعل .. إنهما على كل حال يعلمان ! »

- « إذن أنت وحدك فى هذا العالم ؟ »

- « أنا وحدى .. لكن الرب معى .. فلن أخاف .. »

- « ولماذا لا أبلغ (ساندرا) على الأقل ؟ »

- « لا تفعل .. وكن حذراً ! »

باختصار تريد منى السيدة أن أنسى الأمر برمته ..
وهذا شيء يصعب ابتلاعه لكنها إرادتها على كل
حال ..

جاءت الممرضة تطردنى كالعادة ، فحييت مسر
(بانكروفت) ، وغادرت المستشفى مببل الأفكار ..
تعرفين يا (ريم) هذه المواقف طبعًا وتعرفين كيف
يبدو المرء حينها ..

★ ★ ★

لم يلتقى أحد فى المنزل حين وصلت إليه بعد قليل ..
وسرنى هذا ، فاتجهت إلى حجرتى وجلست على
الفراش شارد الذهن .. ربما طلت هكذا نصف ساعة
أو أكثر ..

جميعهم يريد أن أرحل .. العجوز .. و(ساندرا) ..
ويبدو أننى سأفعل هذا .. يبدو غريبًا أن أترك العجوز
فى هذه الظروف ، لكن لا حيلة لى .. سأحزم حقائبنى
و ...

ومن جديد تحرك الفلاح الرابض فى أعماقى يسألنى

عن (الجدعة) والشهامة .. المرأة لارقيق لها بين
البشر ، وهى عجوز وفى خطر .. فماذا يكون موقفك ؟
فى النهاية وجدت حلاً وسطاً .. سأبقى فى المنزل
يومين أو ثلاثة حتى تتضح الأمور ، وبعدها يمكن
أن أرحل بضمير مستريح .

ومطمئناً لقرارى يا (ريم) غادرت الغرفة ..
قررت أن ألقى الميجور و (ساندرا) لأبلغهما بما
حدث للعجوز ..

نزلت إلى قاعة الجلوس وتحنحت ثم دخلت ،
متوقعاً ألا يكون هناك أحد ، أو على الأقل الفتاة فقط ..
لكنى صُدمت ..

كان الجميع جالسين ..

(ساندرا) و (جيسون) والميجور والزوجان
اللطيفان والرجل الوقور المتحمس .. ستة من
الضيوف غير المرغوب فيهم يجلسون الآن فى
غرفة جلوس المرأة التى طردت أربعة منهم ..

نظرت حولى فى ريبة .. كانوا جالسين فى استرخاء
بثياب مريحة ، وقد اتهمك اثنان فى مطالعة الصحف ،
بينما الفتاتان تتسليان بالحياسة .. ورفعوا عيونهم
نحوى فى برود كأنما يقولون : ثم ماذا تريد هذه
المرة ؟

سعلت لأساك حلقى ، ثم قلت موجهًا الكلام
لـ (ساندرا) :

- « مسز (باتكروفت) فى المستشفى .. حادث
سيارة .. »

ابتسمت وقالت فى رسمية :

- « أعرف .. شكرًا .. ثم ماذا ؟ »

- « حسبت أن من واجبى إبلاغك .. »

- « أكرر أننى أعرف .. »

وهنا تدخل الميجور ليقول فى لهجة عسكرية
جافة ..

- « متى تنوى الرحيل ؟ »

غلى الدم فى عروقى ، وقلت ضاغطاً على كلماتى :

- « لا أنوى .. »

- « لا أحد يريدك هنا أيها الشاب .. »

شاب ؟ حقاً شاب .. حتى (رفعت إسماعيل) يمكن
أن يبدو شاباً بالنسبة إلى هذا الرجل .. قلت فى عصبية :

- « لقد استأجرت غرفتى من مسز (باتكروفت) ،
وهى وحدها صاحبة الحق فى طردى منها .. وإن
لم تخنى الذاكرة فأنتم جميعاً مثلى ضيوف على هذا
المنزل .. »

هم (جيسون) بالنهوض - ليحطم رأسى طبعاً -
لكن الرجل الوقور أمسك بمعصمه بما معناه (دعه
وشأنه) ، وقال فى هدوء :

- « ربما كنا نأمل فى أن تغير قرارك هذا
يا د. (إسماعيل) .. »

ثم هز رأسه محيياً ، فهزرت رأسى بالمثل ، وصعدت
إلى غرفتى من جديد ..

★ ★ ★

وفى غرفتى - كالمجنون - أخرجت ورقة ورحلت
أخط عليها الاحتمالات المختلفة .. طبعًا تحولت
الورقة إلى حشد من الخطوط المتعرجة والأسهم ..
هذا هو ما يفضى إليه الأمر ..

صارت الأمور الآن واضحة فى ذهنى .. العجوز
صدمتها سيارة بفعل فاعل .. لم يكن حادثًا .. من
الفاعل ؟ طبعًا هو واحد من هؤلاء الستة لطاف
المعشر .. بل يمكن إخراج (جيسون) من الموضوع
لأن السيارة التى دهمت العجوز لم تكن سيارته ..
أعتقد بشكل ما أن الزوج الوسيم هو من فعلها ،
لأن الرجل هادئ الطباع الوقور لا يملك سيارة ..

الهدف : كانت طريقة متحمسة لإرغام العجوز على
ترك منزلها .. هذا هو (العرض الذى لا يُرفض)
بلغة رجال المافيا ..

وبالتالى صار الباب مفتوحًا لدخول أربعة غير
مرغوب فيهم هم (جيسون) والزوجان والرجل
الوقور ، وقد صار البيت بيتهم ..

لماذا ؟ لو كنت أعرف لما جلست فى حجرتى
وحيداً ، أخط على الورق أشكالاً لا معنى لها ..
هذا البيت خطير ..
لكنى لن أغادره بهذه السرعة ..

★ ★ ★

٦ - مفاجأة غير سارة ..

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

★ ★ ★

صباح اليوم التالى قصدت المستشفى .. مهما حدث يشعر الطبيب بألفة ما مع جو المستشفيات ورائحة المطهرات وثوب العاملين الأبيض ، تلك الأشياء التى قد تغرى غير الأطباء بالقىء ..

كانت العجوز فى حالة طيبة .. إن رنتيها سليمتان وجمجمتها لا بأس بها .. فلا خطر عليها إلا من جلطات الساقين ، وهذه سوف تعلن عن نفسها يوماً ما فى دورة المياه بعد أول خطوات لها خارج الفراش .. ستسقط ميتة ببساطة ، ما لم يكن التمريض هنا يعرف ما يفعله ..

سألتنى :

- « أما زلت فى المنزل ؟ »

هزرت رأسى أن بلى ..

- « إنك عنيد .. وماذا قالوا لك ؟ »

- « كلهم هناك ، وقد طلبوا منى الرحيل .. »

- « افعل كما طلبوا منك .. »

بالطبع لا توجد صيغة مثنى فى الإنجليزية ، لذا لم
تكن تعنى (قالوا لك - طلبوا منك) بل تعنى (قالوا
لك - طلبوا منك) ..

وأعتقد أنها لم تخمن أننى أستعمل صيغة الجمع
متعمداً .. لم أرد أن أضايقها أو أن يجنّ جنونها ..
ستصاب بنوبة قلبية لو عرفت بنبا الزوار المتطفلين ..

اطمأنت عليها وغادرت المستشفى ، وفى طريقى
إلى المنزل ابتعت بعض الصحف ، ومشيت أفكر فى
هذه القصة ..

فلوب فلوب ! خيل إلى أن بعض الغبار تناثر فى
وجهى من الحائط الذى كنت أمشى جواره .. لكن هذه
أشياء صغيرة ..

كان الطريق خاليًا .. نظرت إلى اليمين لأتأكد ثم
إلى اليسار .. أكثر من مرة كادت السيارات تدهمنى
لأننى أنسى أن هؤلاء القوم يقودون سياراتهم إلى
يسار الطريق ..

لا بأس .. أتهياً للعبور ..

وفجأة نظرت إلى يسارى - كأنما بحافز خفى -
فوجدت السيارة الزرقاء تعوى ذلك العواء المزعج
الذى نسميه عندنا فى مصر (طلعة أمريكانى)
وتسمية دول الخليج (تفحيط) .. ورأيتها قادمة
نحوى بسرعة جهنمية ..

طبعًا لو لم أنظر لما كنت هنا أكتب هذه السطور ،
لكنى منحت جزءًا على ألف من الثانية استطعت
خلاله أن أثب إلى الرصيف ، وأهوى أرضًا ، بينما
السيارة تمرق كسهم أزرق فى الموضع الذى كنت
فيه حالاً ..

سائق ؟ لا يوجد سائق طبعًا يا (ريم) ..

كل السيارات التى تبرز فجأة من العدم لا يقودها
سائق .. حسبت هذا مفهومًا ومتفقًا عليه ..



لكنني مُنحت جزءاً على ألف من الثانية استطعت خلاله أن أتب إلى
الرصيف ، وأهوى أرضاً ، بينما السيارة تفرق كسهم أزرق في
الموضع الذي كنت فيه حالا ..

أرقام ؟ مستحيل قراءة أرقام حين تنطلق السيارة
بهذه السرعة ، وحين وقفت على قدمي الراجفتين ،
كانت السيارة فى عداد الأوهام ..

يا لى من ساذج !

أنا العقبة الأخيرة فى طريق هؤلاء القوم ومشروعهم
الغامض ، وهم كادوا يقتلون العقبة الأولى - العجوز -
فكيف غاب عنى أن الخلاص منى أمر بديهي منطقى ؟ »

★ ★ ★

قلوب قلوب ! خيل إلى أن بعض الغبار ..

★ ★ ★

صوت (القلوب) هذا ليس غريبًا على .. إذن
كان هناك من يصوب على بندقية بتلسكوب كاتمة
للصوت ، ولا بد أن يده اهتزت لأن الطلقة أصابت
الجدار على بعد سنتيمترات من رأسى ..

ليكن .. لا يمكن إثبات شيء من هذا لدى الشرطة ،
لكن الأمور نحت منحى خطيرًا ، وقد حان وقت

التخلى عن رسالتى ؛ لأن القبور تعج بالشجعان كما
يقولون ، فلن يكسب أحد شيئاً من قبر جديد ..

وهكذا اتجهت إلى المنزل حريصاً على أن أبقى فوق
الإفريز قدر الإمكان ، وأن أجد السير متجنباً الحركة
المنتظمة التى يصعب التنبؤ بها ..

وصلت إلى البيت دون أحداث ، ففتحت الباب ودخلت ،
ولم يكن ثمة أحد فى المدخل ولا قاعة الجلوس ..

لاهنأ صعدت إلى حجرتى ، وبدأت أحزم أشياءى ..
استغرق الأمر نصف ساعة ، وفى النهاية حملت الحقيبة
الثقيلة مترنحاً ورحت أهبط فى الدرج ، محاذراً أن
أزل فيدق عنقى ..

كان الباب الرئيسى موصداً ، فعالجت قفل (اللاتش)
كى أفتحه لكنه أبى أن يتحرك ..

غريب هذا .. أخرجت مفتاحى ودسسته فى الثقب ،
فأبى أن يدخل .. جربت مراراً يا (ريم) لكن لاجدوى ..
وانتصب الشعر الباقي على جانبي رأسى رعباً ..

لقد بدل أحدهم قلب (الكالون) ، ولم يعد لمفتاحي
قيمة ..

لابأس .. كنت أتوقع تصرفاً كهذا .. ربما لم
يفطنوا إلى أنني داخل المنزل ولست خارجه ، وقاموا
بالتبديل في هذه اللحظات ..

لكني كنت أعرف الحقيقة ..

هم يعرفون أنني داخل المنزل .. لا بد أن يكونوا
مصابين بالصمم كي لا يسمعوا الضجة التي أحدثتها
منذ جئت ..

هؤلاء القوم قد سجنوني هنا عامدين ..

فلماذا ؟

والسؤال الأخطر هنا هو : هل هم بداخل البيت
الآن أم خارجه ؟

★ ★ ★

لأسباب أعتقد أنك تفهمينها يا (ريم) ؛ قررت
ألا أبدأ الصراخ كالحمقى ، قائلاً إن هناك خطأ ما ،
وإن قفل الباب تغير ، وإننى راغب فى الرحيل ..

قررت أن أعتد على نفسى .. فما حكَّ جلدك مثل
ظفرك ..

كانت هناك نافذة بالطابق الأرضى ، لكنها مدعمة
بالحديد لأن المسز (بانكروفت) عجوز وحيدة ،
لا بد أن يداهمها لصّ ويذبحها يوماً ما ..

هناك المطبخ ، وهو فى مؤخرة المنزل ، ويطلّ
على شرفة جميلة تطلّ بدورها على حديقة مهندمة
كانت العجوز تحبها كثيراً .. الشرفة تقودها أربع
درجات إلى الحديقة ..

وهكذا تخليت عن الحقيبة العريزة ، ومشيت
كالحنكلis - لا أعرف ما هو - نحو المطبخ ، وأنا
أتمنى ألا أجد العزيز (جيسون) يعدّ لنفسه بعض
الشأى هناك .. أنا نفسى أفعل هذا فى المطبخ
الصغير بالطابق العلوى ..

نظرت إلى المطبخ الفسيح فلم أر أحداً .. كان
هناك قط رمادى يرمقنى فى فضول ، وأنا لا أذكر
أن العجوز كان لديها قط ، لكن هذا من حقها ..

كان هناك سكين كبير براق بدا لي مغرياً ، ثم عدلت
عن حمله .. هكذا يبدأ الأمر بالبارانويا ، ثم يستحيل
على إقناع البوليس بقصتي .. ترى هل أستراليا تنفذ
عقوبة الإعدام ؟

لاداعي للسلاح .. إنه يغرى بالتهور والحلول
العنيفة ، بينما أنا فعلاً لست في خطر ملموس ..

ثمة كعكة اقتطع ربعها على (رخامة) المطبخ ،
وثمة طبق به بعض قطع اللحم التي بقيت من
وجبة ما .. والثلاجة تنز كعادتها .. لكن لا يوجد
بشر هنا ..

ها هو ذا الباب .. أمد يدي إلى مقبضه وأديره ..
لكنه لا يدور .. أرجه رجاً لا يستجيب ..

إنهم لم ينسوا شيئاً إذن ..

لكن الأمر لم ينته بعد ..

الهاتف ؟ ربما لو ..

هنا سمعت صوت (ساندرا) تقول :

- « لا تتعب نفسك يا بروفيسور .. لقد تأكدنا من كل الاحتمالات ، ورتبنا كل شىء ! »

★ ★ ★

كانت واقفة عند باب المطبخ وقد استندت بظهرها إليه ، فى وضع (بروفيل) كان يمكن أن يكون فاتناً فى ظروف أخرى .. ولم تكن تنظر لى على الإطلاق ..

وواصلت كلامها وأنا أرمقها فى غباء :

- « قد أذرتك لكنك ركبت رأسك .. والآن يجب أن تبقى معنا ! »
قلت مرتبكاً :

- « عم تتكلمين ؟ إن العشرين من الشهر لم يأت بعد ؟ »

- « الاستعداد يبدأ من التاسع عشر .. »
ثم نظرت إلى وقالت فى حزم :

- « الآن عُدْ لغرفتك أرجوك ، ولا تضطرنى إلى
استدعاء (جيسون) ! »

لا .. ليس (جيسون) أرجوك !
سأكون طفلاً مهندياً ..
سأعود إلى غرفتي ..

★ ★ ★

٧ - علامات لها مغزاها ..

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

★ ★ ★

وفى حجرتى تمددت على الفراش أرمق السقف ،
والأفكار تدوى فى ذهنى كما يحدث فى الأفلام
السينمائية ..

« يجب أن تقبلى يا سيدتى .. يجب .. »

« أنا أتصحك ألا تقبلى .. هذا شيء لا مزاح فيه .. »

« (ميدا) .. هل هذا أنت ؟ »

« كيف يعرف هذان كل هذا عنى ؟ »

« لا أحد يريدك هنا أيها الشاب .. »

« مسز (باتكرووووقت) !

طبعًا لعبت الأفكار دور العاديات اللاتى فرشن لى

هراسًا به يُعلَى فراشى ويقشِبُ ، كما يقول عمنّا
(النابغة الذبياني) .. وهى صورة رائعة بالفعل ..
تحول الفراش إلى أرض معادية كلها أوتاد ودبابيس ،
حتى صار من المستحيل أن أظاهر بالاسترخاء ..

نهضت من الفراش ، وبحذر فتحت باب الحجرة ..
لم يكن من أحد هناك ..

مشيت فى الممر أتأمل الغرفات على الجانبين ..
كانت بعض الأبواب مفتوحة ، وقد صار جليًا من
الحقائب الموضوعة أو التى تبعثرت محتوياتها ؛ أن
كل واحد من الضيوف اتخذ غرفة لنفسه .. إنهم
يحتاجون إلى خمس غرف ، ولربما اتخذت الفتاة
غرفة نوم مسز (باتكروفت) ، ولربما نام الأخ
(جيسون) فى الحمام ..

الفضول قتل القط .. لا أدري لماذا يعود هذا المثل
إلى ذاكرتى أكثر من مرة هذه الأيام ..

لم يكن هناك خطر ما ، وبدا أنه ما من أحد يرانى
أو يشعر بى ، فهم يتعاملون بثقة شديدة فى النفس ..

دنوت من أقرب غرفة ، وكانت مفتوحة ، وبحذر
خطوت ثلاث أو أربع خطوات لأجد نفسى فى وسطها ..
جوار الفراش ..

توجد حقيبة مفتوحة جوار الفراش ، وقد فرغت
من نصف ما كان بها .. من الواضح أن هذه حجرة
رجل لا امرأة .. وهى مهندمة لا توحى بأن خنزيراً
سكنها .. إذن - بالاستبعاد - هى حجرة الرجل الوقور
أول من جاء يطلب السكنى ..

بيد باردة كالثلج رحت أقلب محتويات الحقيبة ..
لا شىء إلا حقيبة رجل متأنق .. قمصان تم كىها
بغناية .. بعض العطور .. آلة حلاقة كهربية ..

اتجهت إلى خزانة الثياب الجدارية ففتحتها ، ولم
يكن بها سوى بذلتين معلقتين وبضع قبعات ..

عم تبحث يا (رفعت) ؟ هل تتوقع أن تجد دمية
غرس فيها الدبابيس ، أو رءوس (تسانتسا) منكمشة ،
أو نجمة خماسية مرسومة على الأرض ؟ لا يبدو أن
الرجل من (أهل ذلك) ، وحتى إن كان من (أهل
ذلك) فلن يضع هذا فى غرفة مفتوحة ..

اتجهت إلى الكومود بجوار الفراش وفتحته ..
أصابتنى دهشة عارمة لأننى وجدت فى الدرج قلادة ..
قلادة غريبة الشكل لم أر مثلاً قط .. كانت لدى
صورة فوتوغرافية لها يا (ريم) لكنى أضعتها بعد
كل هذه السنوات .. لا أعرف كيف أقرب وصفها لك ..
كانت تشبه بقعة من الدم المتجمد اللامع البراق ..
كلا .. لم يكن هذا حجرًا كريمًا أعرفه .. والأغرب
أننى حين لمستها شعرت بأنها فقدت الكثير من
بريقها .. ربما كان هذا وهماً ..

وربما لم يكن ..

وأنت تعرفين فضولى يا (ريم) .. ببساطة دسست
القلادة فى جيبي لأدرسها فيما بعد ..

حان وقت الرحيل الآن ..

لقد كنت سعيد الحظ حتى هذه اللحظة ، لكن موقفى
سيكون غاية فى العُسر لو عاد الرجل الآن ..

لكن قدمي لم تطاوعانى ..

ركعت بجوار الفراش ، ونظرت تحته لأرى



كلا .. لم يكن هذا حجراً كريماً أعرفه .. والأغرب أنني حين
لمستها شعرت بأنها فقدت الكثير من بريقها ..

ما هنالك .. لم تكن ثمة أحذية ، لكنى وجدت أداة
غريبة الشكل .. هذه لدى صورتها ويمكنك أن تريها
متى أردت .. إنها تشبه قلماً طويلاً من الأبنوس ،
لكنها ليست كذلك ..

وكالعادة دسستها فى جيبي ..

الآن صار الرحيل ضرورياً ، وهذه المرة استجابت
ساقاي ..

★ ★ ★

كانت غرفة أخرى مفتوحة ، ومن جديد عاد الصراع
بين الواجب والعاطفة كما فى أفلام (توجو مزراحي)
القديمة .. الصوت فى مؤخرة عنقي يصرخ : بالله
عليك ! كُفّ عن هذا اللعب بالنار ! أنت الذى لم
يستطع أبداً فهم لماذا تنزل بطلة الفيلم الحمقاء ليلاً
إلى القبو الملىء بتوابيت مصاصى الدماء ..

فيجيب الصوت الآخر فى مقدمة رأسى : إن نسمة
واحدة لا تكفى لتحديد اتجاه الرياح ، ونقطة واحدة
لا تسمح برسم خط ..

لا بد من غرفة واحدة أخرى على الأقل !

وهكذا أدخل الغرفة ، وأدرك من الجو الأنثوى العام فيها أنها غرفة الزوجة الحسنة .. (ساندرا)
لا تقم هنا .. ومن الواضح أن الزوجين يقيمان منفصلين ..

كان أول مافعلت هو أن جنوت لأنظر تحت الفراش ،
وبالفعل وجدت القلم الأبنوسى إياه .. هذه علامة
مهمة إذن .. ولها مغزاها بالنسبة لهم ..

فتحت درج الكومود بحثاً عن القلادة فلم أجدها ..
فتشت الحجرة فلم أجد شيئاً غريباً .. هذا خدر سيدة
لا أكثر ولا أقل .. وإن لاحظت أن الغرفتين كانتا
منسقتين أكثر من اللازم والأسرة مرتبة بعناية ،
كأنما لم ينم فيها أحد ..

أما وقد اكتفيت ، فقد فررت من المكان فراراً ،
ولم أجرؤ على تجربة حجرة الثالثة .. فقد صبر الحظ
على طويلاً وكان مجاملاً ، لكنه لن يظل يجاملنى إلى
الأبد ..

وكنت على حق ، لأننى إذ دخلت حجرتى سمعت
صوت أحدهم يصعد فى الدرج .. ولو تأخرت ثانية
لرأى ..

حمداً لله !

★ ★ ★

فى غرفتى أغلقت الباب يا (ريم) ، ثم جلست
على المنضدة أتأمل الأثرين العجيبين اللذين ظفرت
بهما ، ثم أخرجت الكاميرا وزودتها بعدسة مناسبة ،
والتقطت بعض الصور ..

القلادة لم تكن لها صفة خاصة .. لم تكن ثمرة
كتابة على ظهرها ولا علامة تدلّ على أين صنعت ..
لكنى لاحظت لها خاصية غريبة هى - كما قلت - أنها
تتوهج حين أتركها وتنطفئ حين ألمسها .. وعلى
سبيل التجربة وضعتها حول عنقى ، وتأملت منظرى
فى المرآة .. أبدو غريباً بحق ..

أما الأداة التى تشبه عصا ابنوسية ، فكانت ثقيلة

الوزن . واضح أنها من معدن لا أعرفه .. معدن
له ملمس خشب الأبنوس .. وقد رحت أديرها بين
أناملى بحثاً عن شيء قابل للفتح فلم أجد .

هنا خطر لى أن أحتفظ بالقلادة تحت قميصى ،
وأدارى العصا فى جيبي .. ثمة شعور يقول لى إن
هذه الأشياء مفيدة ..

والآن ماذا أفعل ؟

يمكننى محاولة الهبوط من نافذة حجرتى .. لكنى
لا أملك هذا القدر من الرشاقة ، وفى الغالب سأدق
عنقى .. فى السينما يربطون ملاعات السرير على
شكل حبل يتدلون به ، ولم أفهم قط من أين يأتون
بكل هذا العدد من الملاعات ؟

الهاتف ؟

ليسوا بهذه البلاهة ، لكن بوسعى أن أجرب ..

وهكذا يا (ريم) يهبط الكهل النشيط (رفعت)

إلى الطابق الأرضى ، ويتجه إلى الهاتف .. أين ذهبوا ؟ مستحيل أن يكونوا قد غادروا المنزل ، وأنا أعرف أن هناك على الأقل واحدًا فى غرفته الآن ..

ليكن .. سأجرب حتى أسمع صوت من ينصحنى بعدم المحاولة أكثر ..

هذا هو الهاتف .. كتلة من الإغراء البلاستيكي الصارخ .. يعدنى بالخروج من هنا .. ربما يعدنى بمصر أيضا ..

ورفعت السماعة ..

كلا .. لم يكن ميتًا .. لكنه كان يصدر أصواتًا غريبة .. كأن أناسًا يتكلمون بلا انقطاع ودون أن يسمع أحدهم الآخر ، وبأغرب لغة يمكن سماعها .. لغة فيها الكثير من حروف الطقطقة والتجشؤ .. كأنما هذان هما الحرفان التاسع والعشرون والثلاثون فى الأبجدية .. ولكن أية أبجدية هذه ؟

ضغطت على الزر مرارًا على الضوضاء تنتهى ، لكن بلا جدوى .. صحت (هاللو) عدة مرات ، لكن أحدًا لم يسمعنى .

وضعت السماعة فى قنوط .. لا بأس .. لست
بالسذاجة كى أتوقع أن تتم المهمة بهذه البساطة ..

★ ★ ★

كان الصوت مستمرًا ، لكنه أكثر وهناً ..

فطنت لهذا ، وفطنت إلى أنه آت من القبو ..

قبو المنزل رقم (5) ، وقد دخلته مرتين لأساعد
مسز (باتكروفت) فى شىء ما .. كان قبواً عادياً
به بعض الحقائق الفارغة ، وطن من المهملات على
غرار (جراموفون) قديم ، ومانيكان للتفصيل ،
وجرائد لا حصر لها ..

لكن الصوت كان آتياً من هناك ..

وفطنت - فى دهشة - إلى أنه ذات الصوت الذى
سمعته من الهاتف .. كما فطنت إلى أن الشعر على
ساعدى قد انتصب ، كما يحدث لقراء القطعة الذى
تدلكه حتى تملأه الكهربائية الإستاتيكية ..

هذا المكان مشحون بالإستاتيكية ، ولا بد أن هناك

مجالاً مغناطيسيًا لا بأس به ، لأن رأسي يطن وأشعر
بأنني موشك على القئ .. نفس الشعور الذي
شعرت به حين مررت بتجربة أشعة الرنين
المغناطيسي(*) منذ أعوام .. أنت تعرفين هذه القصة
يا (ريم) ، وهي سرّ بيننا كما اتفقنا ..

ماذا يفعل هؤلاء القوم تحت ؟

يمكنني أن أذهب لأرى ، لكنني غالبًا لن أعود ..
هؤلاء القوم ليسوا على ما يُرام ، وليسوا ملائكة ..
أعرف هذا .. أشعر به ..

★ ★ ★

MRI (★)

٨- أنت دخیل !

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

★ ★ ★

سؤال سخيـف بلا معنى طبعا .. فلو كان المنزل
يحمل رقم (6) أو رقم (7) لبدا الأمر غريباً
بنفس القدر .. يجب أن يكون السؤال هو : ماذا
يحدث هنا ؟!

★ ★ ★

عند منتصف الليل سمعت قرعات على بابي ،
وسمعت (ساندرا) تقول في تهذيب :

- « د . (رفعت) .. هل أنت نائم ؟ »

- « وكيف أكون ؟ »

- « إذن .. أنا بانتظارك .. نحن بحاجة إليك في
قاعة الجلوس من أجل موضوع مهم .. »

نهضت من الفراش ، وارتديت ثياباً مناسبة ،
ووضعت ذات السترة التي تحوى كنوزى على كتفى ..
ثم خرجت لها ..

كانت شاحبة مرهقة ، ترتدى ثياباً بسيطة مجعدة ..
وقلت لها وأنا أدس ذراعى الأيسر فى الكم :

- « هل حان الوقت ؟ هل ستقتادوننى إلى الفناء
الخلفى لإنهاء الأمر ؟ »

لم يبدُ عليها الفهم ولا الاستعداد للمزاح بسبب
الإرهاق الشديد وقطبت وجهها بما معناه (عم
تتحدث بالضبط ؟) ، فقلت :

- « أعنى أن الوقت قد حان لتفجير رأسى .. »

قالت فى فتور :

- « دعك من السخف واتبعنى .. »

مشيت وراءها متوجساً ، حتى وصلنا إلى الطابق
السفلى حيث دخلت قاعة الجلوس ، وكان الجميع
هناك .. أسرة كبيرة واحدة سعيدة كما يقول
الأمريكان .. كان دخان التبغ متجمداً فى الهواء ، بينما

كان الميجور يقف وسط القاعة ويداه مشتبكتان خلف ظهره كأنه (ولنجتون) يراقب معركة (ووترلو) ..
أما الزوجان فجلسا متعانقَي الكفين يرمقاني فى اهتمام ..

قال الميجور :

- « د. (إسماعيل) .. ما زلنا نجد عسرًا فى
تصديق أنك منّا .. وعليك إثبات العكس ! »

كان هذا آخر ما توقعت سماعه .. توقعت طلبة
مسدس فى رأسى ، أو أن يقيدونى ويضعونى فى قدر
ماء يغلى كى أكون عشاءهم .. كل شىء إلا هذا ..
قلت فى كياسة :

- « لماذا أحاول إثبات ما لم أزعمه قط ؟ »

صاح الزوج الوسيم فى انتصار :

- « هذا هو ما قلته مرارًا .. ليس هو ..
صدقونى .. يجب الخلاص منه الآن ! »

قال (جيسون) الذى جلس أمام المدفأة كثور
المسك ، وهو يداعب عضلات صدره المخيفة :

- « لكننى أظن أنه هو .. »

وقال الميجور وهو يعتصر شاربه :

- « أنا أيضًا أحسبه هو .. »

- « كفاكم سخفًا ! »

قالتها الفتاة فى حلق ، وراحت تدور حولى كأنما
تنوى شراء سيارة ، وقالت :

- « ليس هو .. لابد أن العمى أصابكم .. »

هنا فقط دق جرس فى ذاكرتى ..

★ ★ ★

« (ميدا) .. هل هذا أنت ؟ »

★ ★ ★

لقد كان من الواضح أكثر من مرة أن شكلى
أصابهم بنوع من الارتباك .. الزوجان تناقشا
بصدى ، و (جيسون) حسبنى من يدعى (ميدا)
لكنه لم يستطع التأكد ..

إن لى شكلاً عجيباً يذكر كل الناس بشيء ما ،
وذات مرة رأى (كولبى) الساحر اليهودى أننى
أشبهه (إدجار آلان بو) ، بينما رأى (جيسون)
أننى (ميدا) ..

هل أزعم أننى (ميدا) هذا ؟ لا فرصة لدى لأننى
لا أعرف حرفاً عنه ، ولا أعرف إن كان شيطاناً أم
إنسياً ..

قال الميجور بلهجة حكيمة :

- « تذكروا النبوءة : كلهم يعود حتى لو نسى أنه
منكم .. ربما كان هذا هو (ميدا) وهو لا يعرف ذلك .. »

قال (جيسون) وهو يكور قبضته :

- « إن نداء المنزل أقوى من الإرادة .. إنه يلعب
دور ذات الغريزة التى تحكم هجرة الطيور .. »

هنا صاح الرجل الوقور نافذ الصبر :

- « كفى سخفاً ! إذن ما الذى يدلنا على أنه منا
وليس مجرد عابر سبيل ؟ لا تتركوا الأمور عائمة
إلى هذا الحد .. »

قال (جيسون) فى ثبات :

- « الأمر سهل .. لو كان هذا هو (ميدا) - حتى
لونسى أنه منكم - فلسوف يكون معه سلاح (فى) ..
ولسوف يحمل القلادة .. هكذا تقول النبوءة .. »

واتجه نحوى دون استئذان ، ومدّ كفيه ليمزق صدر
القميص .. ثم مدّ يده فى جيب سترتى ، وأطلق
صرخة انتصار ، ولوّح بالأداة المعدنية الغامضة ..

- « آهاه ! إنه هو ! »

وعلى الفور تصلبت العيون على وجهى ، وللمرة
الأولى شاعت فى الوجوه ابتسامة ودية .. حتى
(ساندرا) الشيطانية لم تملك نفسها من الانبهار ،
وراح صدرها يعلو ويهبط انفعالاً ..

★ ★ ★

كان عقلى يعمل بسرعة دوران الإلكترونات حول
نواة الذرة .. ورسمت على وجهى علامات البلاهة
والارتباك .. لا بأس .. فهم يتوقعون هذا ..



واجبه نحوی دون استئذان ، ومدّ کفیه لیمزق صدر القميص .. ثم
مدّ یده فی جیب سترتی ..

لقد لعبت الأقدار لعبة غير عادية معى ، والشيطان
الذان قمت بسرقتهما هما الدليل الوحيد على أننى
منهم ..

إنهم حمقى بالتأكيد .. إن (ساندرا) والرجل الوقور
كانا أذكى الستة ، وكانا محقين فى شكوكهما ، لكنهما
انضما الآن إلى معسكر المؤمنين بأننى (ميدا) ..
حظ حسن .. لكن هل يستمر ؟

★ ★ ★

قال الميجور فى رضا :

- « ونحن كدنا نقتله ! إن الأقدار تحميه حتى
النهاية .. لقد فرّ من سيارة (كالا) ، ولم تصبه
رصاصات (مور) .. كنا سنقتل أخاً .. »

قال (جيسون) بلهجة من لا يريد أن يبعده اللهو
عن الموضوع الرئيسى :

- « بهذه المناسبة ؛ اقترح أن يجىء كل واحد
منا بقلادته وسلاح (فى) الخاص به .. نحن نعرف

بعضنا ، لكن لا نريد أن يندس أحد .. إن الثقة غير مطلوبة فى هذه الأمور .. »

وافق الجميع استحسنًا للفكرة ، وبعد ثائيتين وجدت نفسى أقف وحيدًا فى القاعة لا أعرف ما أفعله بنفسى ، وأحاول أن أضم القميص الممزق إلى صدرى ..

بعد دقيقة عاد الجميع .. وراح كل منهم يتقدم إلى الأمام ، ويلوح بأشياء ..

- « أنا الضابطة (أورا) .. هذه هى قلادتى ، وهذا هو سلاح (فى) .. فلتكتمل دورتك أيها الجاكون الأعظم .. »

- « أنا الضابط (مور) .. هذه هى قلادتى ، وهذا هو سلاح (فى) .. فلتكتمل دورتك أيها الجاكون الأعظم .. »

- « أنا الكومار (شير) .. هذه هى ... »

حتى جاء دور الرجل الوقور ، الذى لم يكن يملك هذه الأشياء طبعًا .. تقدم للأمام ، ووجهه شاحب كالموتى ، وقال :

- « أنا .. أنا .. لم أجد قلادتي ولا .. لا أفهم .. »

نظر الجميع له فى شك ، وهتف (جيسون)
كالثيران لو أن هذه تهتف :

- « ألا ترى بعض الغرابة فى هذا ؟ »

صاح الوقور موشكاً على البكاء :

- « أقسم إننى لا أدرى كيف .. كاتا فى غرفتى ..

ثم .. »

ثم نظر إلى فى هستريا ، وأشار بإصبع ترتجف :

- « هذا ! هذا هو من سرقهما ! »

قالت (ساندرا) - التى اتضح أنها الضابطة

(أورا) - فى تحدّ :

- « لا أحد يفقد القلادة ما لم يكن ميتاً .. الأسهل

أن تقول إنها لم تكن لديك من البداية ! »

- « لقد سرقها منى ! أنا الكومار (فور) .. كلكم

يعرفنى ! »

- « كذلك كلنا نعرف (ميدا) .. هو قد أثبت
شخصيته ، فماذا تفعل أنت ؟ »

صاح (جيسون) - الذى اتضح أنه الضابط
(مور) - وهو يعتصر سلاحه :

- « كفى مزاحًا ! لو كنت أنت (فور) وفقدت
سلاحك ، فمن الخير لك أن ... »

ولم أدر ما حدث ..

لم أفهمه حتى وجدت الدم يسيل من عيني الوقور
وفمه وأذنيه ، ثم بدأت فقائيع تحتشد تحت جلده
وتنفجر .. وهنا فقط فهمت .. هذا الرجل يذوب
بالمعنى الحرفى للكلمة ..

الرجل الذى كان الكومار (فور) يذوب .. يذوب ..
أنا الوحيد الذى يعرف أنه كان صادقًا ..

رحت أرتجف كورقة وأنا أرمق ما كان ينتظرني ،
لو لم آت بالقلادة معى .. حمدًا لله !

أخيرًا صارت سجادة القاعة ملوثة ببقعة لزجة هى
خليط من دم ودهن ومادة كالشمع لا أدرى ما هى ..

قال الميجور كأتما لم يحدث شيء :

- « دخیل ! لقد تحدثت النبوءة عنهم كثيرًا :
ومنهم دخلاء ليسوا من بينكم ، لكنكم تنخدعون
فيهم ، حتى الموعد .. »

الحقیقة أن النبوءة صادقة جدًا .. لكن الخلاف
كان بالنسبة للشخص المعنى .. وإلى متى يظل
سرى آمنًا ؟

يا له من مأزق !

★ ★ ★

٩- أنت منا !

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

★ ★ ★

وضعت قرص النتروجلسرين العزيز تحت لساني ،
وانتظرت حتى بدأ الصداع والدوار ثم بصقته .. أنت
تعرفين حالة قلبي يا (ريم) .. لقد كان بالضعف
ذاته في هذا الوقت .. لم يكن قط سليماً على
قدر ما أذكر «

لم يلحظ أحدهم ما فعلت ، وقال الميجور في مودة :

- « أنت منا يا (ميذا) حتى لو لم تعرف هذا . »

وقال الزوج وهو يعود للأريكة :

- « ما كان قدومك إلى هذا المنزل بالذات صدفة ..

لقد كان نداءً خفياً لم تسمع أذنك مثله ، كالذي
يهدى الطيور المهاجرة إلى اتجاهها ، أو كالذي

يحرك إبرة البوصلة .. ولأسباب مماثلة قبلت
العجوز ضيافتك برغم أنها رفضت الكثيرين منا ..
كنت أنت أول من لبى النداء ، ومن سخرية الأقدار
أنك كنت الوحيد الذى نسى أنه منا .

قالت (ساندرا) فى حنان :

- « لكنه سيتذكر .. ما إن يبقى معنا قليلاً
سيتذكر .. »

كانوا حمقى .. ولو كنت زعيمهم لأمرت برميهم
بالرصاص ، فهذا خطأ فادح لا يتكرر كثيراً ، لكنه
من حسن حظى ، ولولاه لكنت بقعة دهن تلوث
السجادة ، إلى أن تجد المغسلة مستحضراً مناسباً
لإزالتها ... قلت لهم بصوت مبجوح :

- « بعد هذا كله .. هل تسمحون لى بالاعتكاف
فى حجرتى ؟ »

قال الميجور فى مرح ، وهو يتحسس شاربه الكث :
- « طبعاً .. لكن تذكر أن موعدنا عند منتصف
الليل .. أى أن أمامنا أقل من أربع وعشرين ساعة ..

سنتجمع هنا فى العاشرة صباحًا كى يحدّد كل منا
تفاصيل (الإكلوس) .. »

هزرت رأسى ، ولممت القميص الممزق على
صدرى العظمى ، وصعدت فى الدرج محاولاً أن أبدو
أكثر .. لا .. لا داعى للتظاهر بأننى طبيعى .. فهم
جميعاً يتوقعون أن أكون مرتبكاً ..

سيناقشون تفاصيل (الإكلوس) فى العاشرة
صباحًا .. يجب أن أكون هناك .. وأتمنى أن يكون
نسيانى مبرراً كافياً لكونى لا أعرف كنه هذا
(الإكلوس) ..

★ ★ ★

من هم ؟

كل شىء يوحى بأنهم جماعة سرية ما أو كائنات
لا أعرف كنهها .. ومن الواضح أن اليوم العشرين
من مارس - الذى بدأ منذ ساعتين - يمثل أهمية
عظمى لهم .. دينية أو وطنية .. ويبدو أنهم
مكلفون بالاحتشاد هنا من بقاع الأرض فى هذا

اليوم بالذات ، وهى مهمة يمكن أن يقتلوا من أجلها ..
يمكننى كذلك القول إنهم لا يحبّون بعضهم كثيراً ،
ولا يهم الواحد منهم أن يساعد الآخرين على الوصول
ها هنا .. لقد بدا واضحاً أن الميجور لم يكن متحمساً
لدخول الرجل الوقور المنزل ، كما أن الزوجين أنذرا
العجوز من أحدهم حين عرضا عليها صورة
فوتوغرافية له ..

من أين جاءوا ؟

للأسف لا توجد سوى إجابة واحدة .. القلادة
الغريبة والسلاح المصنوع من معدن لا وجود له
على الأرض ؛ كلها أشياء ليس لها إلا معنى واحد :
هؤلاء غرباء .. هؤلاء ليسوا من عالمنا .. ربما
ليسوا من أرضنا أو ليسوا من مجرتنا كذلك ..

ورحت أتفحص سلاح (فى) الذى تكلموا عنه ..
ربما صار ذا عون لى للدفاع عن نفسى .. كما قلت
هو غير مزوّد بأى زناد أو شىء يُفتح ويُغلق .. لقد
رأيت (جيسون) يضغط عليه لكن شيئاً لم يخرج

منه .. هل هذا كل شيء ؟ هل أشعته غير مرئية ؟
أم أن هناك أسلوبًا ما لا أفهمه ؟
أمسكته واعتصرته بقوة ..

هنا شعرت كأن نارا تلتهب في جسمي كله ،
وكان سيخًا محمياً انغرس في أحشائي وراح يعبث
هنا وهناك ..

كان الألم مفزعًا إلى حد أنني تخليت عن حمل
السلاح ، وعلى الفور عادت الأمور تستقر ..
ما معنى هذا ؟

إذن لماذا لم يؤثر السلاح في (جيسون) ، ولم
يؤثر في حين تجربته أول مرة ؟ آه ! السبب أنني
نزعت القلادة عن عنقي الآن .. وهذه القلادة كما هو
واضح تلعب دور الدرع الواقية من سلاح (في) ..
الرجل الوقور لم يكن يرتديها حين ذاب ، بينما كنا
جميعًا نضعها حول أعناقنا .. هذه القلادة تلعب لعبة
قدرة إذن .. من لا يضعني حول عنقه ليس منا ..
ومن ليس منا جزاؤه الموت ..

الدرس الأهم الذى تعلمته الآن هو ألا أنزع هذه القلادة
عن عنقى أبداً .. الدرس الثانى هو : إذا أردت قتل
هؤلاء القوم فعليك بنزع قلاداتهم ، وهو كلام نظرى
سهل .. إذ كيف ينزع المرء القلادة من حول عنق
(جيسون) الغليظ ؟ هذا إن كان له عنق أصلاً ..

لقد كان الرجل الوقور مهملًا بحق ، وأحسبه قد
استحق الموت بلا شك .

طرقات على الباب .. طبعًا ستكون (ساندرا) ..

★ ★ ★

- « ادخل ! »

انفتح الباب وظهرت وهى تبتسم فى صفاء

- « أراك لم تنم يا (ميدا) ؟ »

- « كما ترين .. »

كنت أرتدى منامتى ، وشعرت بخجل شديد ، لأنه
ما من أنثى غير المرحومة أمى رأتنى فى هذا
المظهر .. لكنها لم تخجل .. وقفت فى منتصف
الغرفة وعقدت كفيها على ردفها ، وقالت :

- « كنت أتساءل : كيف شككت فى أمرك لحظة ؟
الحق أننى أذكرك أبهى طلعة وأرق حاشية .. »

لن أجد منأى من السخرية أبداً ، حتى مع هذه
الفتاة الفضائية ذات العينين المثقوبتين .. قلت لها
فى مرارة :

- إن للحياة تصاريدها .. »

- « وكنت أسأل نفسى : كيف لم يتعرفك قلبى ؟ »

آه ه ه ه ه ! إنها قصة حبّ إذن ، وهذه الفتاة مغرمة
بالأخ (ميدا) .. لكنها لا تعرف كم كان قلبها صادقاً ..
ولكن ذوقها غريب بحق ، فأنا - بلا فخر - أقبح
الموجدین هنا .. ربما أسوأ من الميجور و (جيسون)
بمراحل ..

هنا أجابت الفتاة عن السؤال :

- « صحيح أنك اخترت لنفسك أقبح الأقنعة ..
وزعمت أن هذا بغرض التمويه ، لكننى أذكر أن
قناعك كان أجمل من هذا بكثير ! »

- « لا بأس سأعمل على إصلاحه ! »

- « لا داعى .. لأنك ستتحرق منه اليوم إلى الأبد ! »

مفهوم .. مفهوم .. لكن هناك سؤالاً مهماً : لماذا يتكلم هؤلاء القوم اللغة (الأسترالية) حتى فيما بينهم ؟ المفترض أن يعودوا إلى طبيعتهم ويتكلموا لغتهم .. لغتهم الشبيهة بما سمعت من الهاتف منذ ساعات ..

قلت لها فى جراءة :

- « لماذا تتكلمين الإنجليزية ! »

اتسعت عيناها دهشة ، وقالت :

- « عسى ألا تكون نسيت هذا أيضاً .. إن قسم الجاكون الأعظم يرغبنا على الكلام فيما بيننا بالإنجليزية ، تحت طائلة الموت .. لا يجب أن يبدد منا خطأ يثير الشكوك »

ثم أردفت باسمه :

- « بالطبع لم تنس لغتنا .. »

بدبلوماسية قلت :

- « لست واثقاً .. سأعرف هذا فى نهاية اليوم .. »
ثم إن وجهها تبدل ليكتسب رقة مزعجة أثارت
القلق فى صدرى .. هذه الفتاة تحب (ميدا) بحق ،
ولتكونن هذه هى النقطة التى تخرب بيتى ..
قالت وهى تحتفظ برقة الابتسامة :

- « ألم أزر أحلامك قط طيلة هذه الأعوام ؟ »
ابتسمت فى خبث ، كما يليق بـ (ميدا) أن يفعل ،
وقلت :

- « كثيراً .. لكنى لم أكن أعرف أن لك وجوداً
حقيقياً .. »

دنت منى أكثر ، وقالت وهى تتأمل ملامحى :
- « يا للغرابة ! لكم تبلى هذه الأثنية بسرعة ! لا أنكر
أن الوجه الذى اتخذته كان يحمل هذه التجاعيد .. »
- « إنها عوامل التعرية .. الشمس والهواء ..
هذه الأشياء تحدث .. »

دنت أكثر وأراحت رأسها على كتفى ، وقالت :

- « عندما أفكر فى أننى قابلت (ميدا) ولم أعرفه .. أوشك على قتل نفسى .. »

كنت أنا فى أسوأ حال ممكن .. فقد كانت لشعرها رائحة غريبة كيماوية أثارت الرعب فى عروقى ، ثم إن وضعها هذا جعلها أدنى لاكتشاف حقيقتى .. دعك من أننى لست من سعة الصدر بحيث أترك كل كائن فضائى غريب يستريح على كتفى !

وهمسًا قالت :

- « تذكر جيدًا .. تذكر .. الليلة التى مشينا فيها تحت أقمار (فراما) السبعة واقتطفت لى أوراق (الزنكيل) .. أو حينما صارعت (البوركا) من أجلى ، وقتلت (هلبراد) فى المباراة المقدسة ..

« كنت أنت أشجع الفرسان ، وكنت لى وحدى .. واليوم ألقاك هنا فلا أعرفك ولا تعرفنى .. بل إننى أنذرتك من البقاء فى البيت حتى العشرين من مارس .. تصور هذا ! »

سقطت بمضى أننى أضحك سخرية ، ولم أقل شيئاً ،
فقالته هى بنفس النبرة الحاملة :

- « هل تذكر مجلس جاكون الأعظم ؟ لقد صممت
على أن أكون معك ، حتى إذا تلاشت ذراتنا اختلطت
الطاقتان معاً للأبد ، وعندها نصير نجمين من نجوم
(آركا) الخالدة التى كنا نرمقها معاً .. »

الغريب أن كلامها جعلنى أشعر بدوار حقيقى ..
لم لا يكون كلامها صحيحاً وأكون أنا واحداً منهم ؟
لم لا تكون حياتى كلها كانت وهماً .. مجرد قناع
استترت وراءه بينما أنا (ميدا) الذى لا يقهر ؟
ورفعت عينيها المثقوبتين نحوى ، وهمست :

- « هل ترى عينيّ ؟ هل تذكرهما ؟ كنت تحبهما
كثيراً ، وإننى لأتساءل عما إذا كنت تذكر ؟ »

الخدر يتسلل إلى جسدى ببطء ، وأشعر بأن أبخرة
من العطر تحيط بى وتحملنى إلى آفاق لم يرها بشر ..
هل أنا هو أنا حقاً ؟ ما الذى يثبت هذا ؟ ربما أنا
هو (هو) ؟



ورفعت عينيها المثقوبتين نحوى ، وهمست :
 - هل ترى عيني ؟ هل تذكرهما ؟ كنت تحبهما كثيراً ..

ابتعدتْ عنى قليلاً ، وفى دلال همست :
- « سأريك شيئاً جميلاً .. أصبر لحظة .. أغلق
عينيك حتى لا ترى .. »

أغمضتْ عينيَ وأنا أتساءل عن الكارثة القادمة ..
السؤال المحرج التالى الذى سيجعلها تتشك فى أمرى ..
صاحت فى حماس بعد هنيهة :

- « والآن أفتح عينيك ! »

★ ★ ★

فتحتُ عينيَ فى توجس لأرمقها ..
ثمة شىء غريب فى وجهها آثار قلقى .. ثم أثار
هلعى حين تبينته .. لقد انتزعت عينيها ! نعم ..
لامزاح هناك ! لقد انتزعت كرتى عينيها من
المحجرين بما يحيط بهما من جفنين ومكان
التجويف كان ظلام دامس يتحرك فيه ضوء أحمر
شرير يفتش هنا وهناك !

وفى يديها كانت كرتا العينين ، وأدركت على الفور
أنهما صناعتان ، وأن الجفنين من مادة كاللدائن ..

قالت وهى تحقق فى وجهى بفجوتيتها المخيفتين :

- « الآن يمكنك أن تتذكر عينى من دون هذا
القناع البشع ! »

ثم بدلال أضافت :

- « هل أنت سعيد ؟ ليس من السهل أن أعيد كل
شئ إلى موضعه لأن على أن أدارى كل هذا
بالمساحيق وكريم الأساس .. لكنك تستحق هذه
المجاملة ! »

فتاة بلا عينين تقف على بعد متر منى وتتكلم
يا (ريم) ..

هذا ليس حقيقياً .. إنه كابوس ..

الآن صار قلبى يعمل بمزاجه الخاص ، وصار له
إيقاع محبب يذكرى بمواويل (عبد المطلب) ..
وبدأت بقعة سوداء محاطة بحواش صفراء تظهر
فى مجال إبصارى .. إنه الإغماء آت ولا ريب ..
لكن .. يجب .. أن .. أقاوم ..

وسمعت الفتاة من مكان ما تقول :

- « والآن عليك أن تردّ لي المجاملة ، وتنتزع
هاتين العينين البشريتين من أجلى ! من أجلى أنا ! »

★ ★ ★

١٠- الحقيقة كلها (تقريباً) ..

بدأت أترنج .. حقاً كنت الآن أجاهد كي أظل على قدمي ، بينما صوتها من وراء الضباب يهتف :

- « (ميدا) ! ماذا دهاك يا حبيبي ؟ »

وهويت في هاوية سوداء لا ينيرها إلا ضوء أحمر شرير جشع ، يتحرك بلا هوادة في كل صوب ..

وبإرادة حديدية لم أدر أنها عندي ؛ انتزعت نفسي ثانية .. لا أريد أن أفقد الوعي وأتركها تتحسس وجهي ، لتدرك أنه وجه حقيقي وليس قناعاً .. لن أتركها تحاول بأظفارها انتزاع عيني ..

تحاملت على نفسي وهمست :

- « نعم .. نعم .. أتذكر عينيك .. لكن هذا أجمل من أن يكون حقيقياً .. أشعر بدوار .. »

بحنان سألتني :

- « هل تريد أن أتركك الآن ؟ »

- « نعم .. نعم .. بعض النوم قد يفيدنى .. »

- « وفى الصباح سترينى وجهك الجميل ؟ »

- « بالتأكيد .. بالتأكيد .. »

ولا أدرى متى خرجت وأطفأت النور ، تاركة إياى
وحدى على الفراش فى الظلام ، أعلو وأهبط ..

أمشى تحت أقمار (فراما) السبعة .. أصارع
(البوركا) ثم أغدو نجماً من نجوم (آركا) الخالدة ،
رمزاً للحب الذى لا يموت ..

من يدرى ؟ ربما أقطف بعض أوراق (الزنكيل)
أيضاً .. إن كل شىء صار ممكناً فى هذه الأيام ! «

سترى وجهى الجميل صباحاً .. لا بأس .. ثمة
احتمال لا بأس به أن ألقى ربى فى الساعات القليلة
الباقية على العاشرة صباحاً .. وعندها أكون قد
استرحت وأرحت ..

★ ★ ★

فى الصبح اتجهت مترنحاً إلى قاعة الجلوس ، وكان
الخمسة هناك يرشفون الشاى والكعك بالزنجبيل الذى
صنعتة مسز (باتكروفت) لنفسها .. لا أدرى لماذا
لا أفكر فيها الآن إلا بصيغة (المرحومة) .. لا أعتقد
أنها ماتت ، لكنها صارت بعيدة جداً الآن عن هذا
العالم ..

قال الميجور بطريقته العسكرية الحاسمة :

- « لعلك نعمت بليلة طيبة أيها الشاب .. »

قلت بسخرية لم يلحظوها :

- « جداً .. ولعظم لم تناقشوا ترتيبات (الإكلوس)

بعد ؟ »

قال وهو يمسك ببعض الأوراق :

- « كنا ننتظرك .. ولكن (الإكلوس) لا يمكن أن

يناقش إلا بلغتنا ، فهل تستطيع المتابعة ؟ »

- « لا أظن .. »

- « ليكن .. يمكننا أن نعمل خمسة .. والآن بالسلطة

المخولة لى باعتبارى (جود) أعظم ؛ فإننى أعفيكم
من الكلام بالإنجليزية لمدة ربع ساعة .. فلنبداً .. »
(الإكلوس) !

لمدة ربع ساعة دارت مناقشة محتدمة حول
(الإكلوس) بلغة غريبة يصعب على مجرد وصف
أصواتها .. كما قلت آنفاً كان هناك كثير من التجشؤ
والطقطقة ، وذلك الصوت الخاص الذى كان
الخواجة (بيجو) يحاول جاهداً كتابته على الورق ،
فى أحد أفلام (إسماعيل يس) الشهيرة .. لا بد أن
أجدية هؤلاء القوم تربو على الخمسين حرفاً ..

كان لـ (ساندرا) أطول باع فى المناقشة ، وكانت
قد أعادت عينيها الزائغتين إلى موضعهما .. حقاً لم
أفهم كنه (الإكلوس) لكنى خمنت أنه مجموعة من
التعليمات يكلف بها كل واحد من الموجودين ..
وعليه أن يستظهرها وينفذها بدقة .. بل إن الموقف
بدا لى رجال الكوماتدوز الملتفين حول زعيمهم ،
وهو يعطيهم التعليمات الأخيرة قبل أن يتفرقوا ..

مرّ ربع ساعة يا (ريم) ثم صاح الميجور :

- « كفى ! الآن نعود إلى الإنجليزية ، ولن ينتهى
الخطر إلا فى التاسعة مساءً بتوقيت الأرض .. »

نظرت لى (ساندرا) فى مرح ، وقالت :

- « للأسف لدىّ ظن من الأعمال على عاتقى ،
فلا وقت لدىّ كى أجعلك تبرّ بوعدك .. لكنك لن
تهرب منى !

قلت صادقًا :

- « لن أهرب .. عسير أن أهرب منك .. ولكن
ماذا سيتم فى التاسعة بالضبط ؟ »

- « سنعود يا حبيبى ! ألم تشفق إلى الوطن ؟ »

- « بلى ! بلى ! ولكن .. كيف ؟ »

- « تعال معى وسأشرح لك .. »

★ ★ ★

أظلمت (ساندرا) - أو الضابطة (أورا) - غرفة

نومها ، وأسدت الستائر ، ثم أخرجت سلاح (فى) من جيبها .. وسألتنى مستوثقة :

- « لعلك لم تنس ارتداء القلادة .. حسن ! إذن راقب الجدار وسترى تاريخ رحلتنا .. »

فهمت على الفور أن سلاح (فى) يُستعمل لعدة أغراض ، كسكين الجيش السويسرى بالضبط .. إنه يصلح لإذابة الناس كما يصلح كجهاز إسقاط صور جدارى .. لو كان يصلح لتسليك الأسنان التى انحشرت بينها قطع اللحم ؛ فهو الإتقان ذاته ..

وعلى الحائط الذى صار شاشة بدأت صورة مبهمه لا أدرى كنهها تتكوّن ..

لكن الفتاة لم تبد راضية عن هذا ، وراحت تقلّب سلاح (فى) فى كفها ، وتقطع بلسانها بما يعنى أن الأمور ليست على ما يُرام .. واضح أن هذه الأجهزة تفسد كل شىء آخر .. أخيراً وبعد جهد قالت :

- « لقد نفدت الشاحنة البيولوجية .. ليكن .. الأمر

باختصار هو أننا جننا هذا الكوكب عام ١٨٨٤ بتاريخهم .. وقد تفرقنا ليعيش كل منا حياته ويدرس طبائع الكائنات ، على أن نلتقى ثانية بعد عام من أعوامنا .. وبجسارة أدق : بعد ما يقرب من مائة عام من أعوامهم هنا .. والموعد المحدد للرحيل هو العشرون من مارس بتوقيتهم .. هنا ..

« أنا جربت الكثير فى مائة عام .. عملت معلمة ، ثم تزوجت وقررت إلى مدينة أخرى كى أكون طبيبة ، وبعدها تزوجت قررت إلى بلد تُدعى (ألمانيا) حيث جربت أن أكون مهندسة .. ولقد تنقلت بين عشرات المهن فى عشرات البلدان ..

أشياء كثيرة يمكن عملها فى عام واحد من أعوامنا هنا ..

« لم أنس من أنا قط .. لكن كنت مطمئنة إلى أننى لو نسيت سأجد نداءً خفياً يدعونى إلى (سيدنى) .. إلى المنزل رقم (٥) قبل مجيء العشرين من مارس عام ١٩٧٣ ..

« إن النبوءة صادقة : حتى لو نسيت سأعود ..
وحتى لو نسيت فلن أنزع القلادة أو أفقد سلاح
(فى) .. »

سألتها وأنا أسترجع خيوط القصة كلها :
- « لماذا أشعر أنكم لا تحملون مودة بالغة بين
بعضكم للبعض ؟ »

- « لأن العائد سيكون بطلاً ولسوف ينضم إلى
المجلس .. ونحن لا نرغب فى أن يعود (جيسون)
معنا ، كما أن (الجود) لم يكن يرغب فى عودة
الكومار (فور) .. وما دام من كان معنا أمس وهلك
لم يكن هو (فور) ؛ فإبنى أعتقد أن (فور) لن
يستطيع اللحاق بنا .. وثمة اثنان آخران لم يلحقا
بنا بعد .. »

- « ومصير هؤلاء ؟ »

- « سيظلون هنا للأبد .. سيظلون طويلاً إلى أن
يموتوا بعد مائة عام من أعوامنا .. »
- « أى عشرة آلاف عام أرضى ؟ ! »

- « بالضبط .. أعتقد أن الأمور صارت أوضح لك الآن ، وثق بأنك ستسترجع ذاكرتك فوراً .. بمجرد أن نصل إلى عالمنا .. ولسوف تكون بطلاً هناك .. »
بالطبع سأكون بطلاً هناك .. سيضعون بقاياى الذائبة فى مُتحف باعتبارى أول من استطاع خداعهم لفترة لكنه فشل ..

سألتها ونحن خارجان إلى الممر :

- « ما هذا (الإكلوس) الذى كنتم تتكلمون عنه ؟ لقد خشيت أن أسأل ، لكنى لم أع حرفاً .. »

قالت وهى تهتز ضحكاً :

- « صحيح .. نسيت أنك لا تذكر شيئاً .. (الإكلوس) هو مجموعة البروتوكولات الخاصة بالعودة لوطننا .. إنها تشبه ما يقوم به قائد الطائرة اليوم ، حين يجعل كلاً من مساعديه يقوم بتسميع تعليماته المكتوبة فى قائمة .. على كل منا أن يعى جيداً ما يجب أن يعمل ، وإلا ضعنا .. بالمناسبة ؛ لعلك لم تنس أننى القائد ؟ »

« أذكر هذا على الأقل .. والآن ما هو دور كل واحد اليوم ؟ »

— « القبو .. ولا شيء غير القبو .. إن أماننا عملاً كثيراً .. »

وصفقت بيديها كما يفعل زبون المقهى منادياً القهوجى ، وتقدمتنى واتجهت إلى القبو ..

★ ★ ★

كما قلتُ يا (ريم) ، كان القبو هنا مجرد سلة مهملات ضخمة ، وأعتقد أنه لا يمكن أن يوجد به شيء مهم من أى نوع ..

كان الجميع يقفون هناك ، ولم أفهم حقاً ماذا ينتوون عمله بكل هذه الجرائد والحقائب القديمة الفارغة ، وربما الفئران ..

لكن (جيسون) — الضابط (مور) كما عرفت — أجاب عن أسئلتى قبل أن أ طرحها .. اتجه إلى مدفأة مركزية عتيقة هناك يبدو أنها كانت تدفئ المنزل بالخشب ، فى القرن الماضى .. ودون كلام توضيحى أزاح حاجزها جانباً ، ولم تكن هذه مشكلة بالنسبة لتكوينه العضلى ، ثم انزلق عبر فتحتها

ليختفى تمامًا .. فأران مذعوران جريا من الفتحة
وهما لا يصدقان ما حدث للسلام العالمى ..

وجاء دور (الميجور) الذى حمل فى يده كشافاً ،
وتشبت بحاجز المدفأة العلوى ثم أرجح جسده
لينزلق إلى داخلها .

جاء دور الزوجين ثم دورى .. لماذا ؟ ببساطة
لأن (ساندرا) أرادت أن تكون آخرنا لتتأكد من
غلق الحاجز ..

سمحت لجسدى النحيل بأن يمر عبر الفتحة ،
وعلى الفور سقطت فى نفق مظلم قذر يهبط لأسفل
بزواوية شبه قائمة .. وقبل أن أصرخ أو أصاب
بالذعر أو تقتلنى (الكلوستروفوبيا) ، وجدت أننى
ملقى على الأرض وسط قاعة واسعة ..

وقبل أن أتخذ رد فعل جديداً ، كانت (ساندرا) قد
سقطت فوقى .. فانتحيت جانباً وعدت أرمق المكان
من حولى ..

★ ★ ★

كان مظلمًا كالقبر ..

لكن الكشف الذى يحمله الميجور أشاع جواً لا بأس به يسمح بتبين التفاصيل ، وعابث (جيسون) بعض الأشياء ، فاتبعث نور أزرق غامض بدا أنه يأتى من الجدار نفسه ..

كانت هناك بلورات فى كل صوب .. عالم من البلورات الخيالية التى تتهشم عليها الألوان وتتكسر ..

همست (ساندرا) مستمتعة بدهشتى :

- « إن المدفأة تقود إلى هذه القاعة ، ومن المفهوم أن المدخنة مسدودة ، لذا لم يحاول مخلوق أن يضع فيها خشباً طيلة مائة عام تقريباً ، ولو حاول لوجد أنه يختفى ! »

ورحت أنظر حولى مذعوراً .. لم أكن مذعوراً بسبب ما رأيت ، ولكن بسبب أن كل هذا مألوف .. لقد رأيته فى موقف سابق .. ربما فى طفولتى أو شبابى .. ربما فى أحلامى .. ودعوت الله أن أكون مخطئاً وأن يكون هذا مجرد تكرار لظاهرة (ديجا - فو) أو (شوهد من قبل) الشهيرة ..

أما ما لم يبدُ مألوفاً لى فهو تلك الأحوال
الزجاجية المتناثرة هنا وهناك ، والتي تسبح فيها
أجساد بشرية ! جثث آدمية مغمضة العيون تسبح
فى سائل شفاف ، وقد بدا كأنما تحلم بالخلاص ..
كان هناك حوض به قط وآخر به كلب ، وكانت
هناك مجموعة لابأس بها من الحشرات ..

قلت لها متظاهراً بعدم الاكتراث :

- « كان يجب أن تضعى أسوداً وأفياًلاً و .. و ... »

ابتسمت من جديد ، وقالت :

- « هذه ليست سفينة (نوح) .. لقد جئنا بما
استطعنا الحصول عليه ، وعلى كل حال ليس هذا عملاً
سيئاً فى عام واحد من أعوامنا .. والآن كفانا ثثرة .. »

تعرف سفينة (نوح) ؟ إن ثقافتها الأرضية
واسعة .. لكن ليس هذا غريباً ، فما أكثر ما يراه
المرء ويعرفه لو عاش مائة عام من أعوامنا .. لقد
كانت (ساندرا) والميجور يعرفان كل شىء عن
العجوز وماضيها وهكذا دخلا البيت دون جهد ..

كان الجميع الآن منهمكين .. يعدّون أوضاع
البلورات ، بينما لونها يتغير كلما تغير وضعها ..
أحياناً كان اللون الأزرق يستحيل أحمر أو قرمزيًا ،
وأحياناً كان الظلام يسود .. لكنهم كانوا يعرفون
ما يفعلون جيدًا ..

ترى هل أحلم أم أن الأرض تهتز تحتى ؟

كلينج ! كلينج !

وهذا الصوت المعدنى ! هناك من يدق شيئاً فوقنا ..
بل هو بالذات يدق حاجز المدفأة فى القبو !

تصلب الجميع للحظة ، ونظروا لأعلى ..

فى هذه اللحظة أيضاً جاء صوت قوى من أعلى
يصيح :

- « افتحوا لى ! افتح يا (جود) ! أنا (ميدا) !! »

★ ★ ★

١١- اللحظات الأخيرة ..

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

★ ★ ★

دنا (جيسون) من الفتحة التى سقطنا منها ،
وأصاخ السمع إلى الصوت الذى يردد :

- « افتحوا لى ! أنا لم أتأخر ! »

صاح (جيسون) من خلال الفتحة :

- « (ميدا) من ؟ »

- « (ميدا) رفيقكم ! لقد تأخرت فى القدوم من
(إفريقيا) ، وكان على أن أعتصب باب البيت اغتصاباً
لأنكم أغلقتموه من الداخل ، لكنى لا أستطيع فتح
حاجز المدفأة .. »

اتسعت عينا (جيسون) فى وجهه المشعر ،
ونظر لى بنظرة نارية ثم إلى الآخرين .. هنا قال
الميجور ضاغطاً على كلماته :

- « لو كان هذا هو (ميدا) ، فمن الذى معنا ؟ »

انتهى الأمر !

كنت أعرف أنه سينتهى حتمًا لأننى سأكشف عن شخصيتى عاجلاً أم آجلاً ، حين ينزعون أقنعتهم .. لكن آخر ما جال فى ذهنى هو أن يعود (ميدا) الأصلى فى هذه اللحظة بالذات ، ملهوفاً على اللحاق برفاقه ..

لم أحاول أن أنكر .. الطبيعى هو أبدو غيبًا عاجزًا عن الفهم .. وهذا هو ما فعلته بنجاح تام ..

همس الميجور بصوت مسموع :

- « دعه يدخل .. ولنر .. »

وهكذا زحف الأخ (جيسون) كالقرد داخل الفتحة ، ويبدو أنه أزاح مزلاجًا ما ، وفى اللحظة التالية تدرج جسده ومن فوقه جسد رجل نحيل أصلع ..

وحينما وقف هذا الأخير فهمت معنى الحيرة التى غمرت كل من رآنى .. بالطبع ليس الشبه قويًا ،

ولن تحسبه أخى التوعم .. بل هو وسيم نوعًا ،
لكنه أصلع الرأس نحيل له شارب مضحك ويضع
العوينات .. ومن الواضح أنهم بدعوا ينسون الأفتعة
التي تفرقوا بها فى أرجاء الأرض ..

وقف (ميدا) العظيم فى منتصف القاعة ، وهتف :

- « أنا الكومار (ميدا) .. فلتتكامل دورتك أيها
الجاكون الأعظم ! »

★ ★ ★

« لقد صارعت (البوركا) من أجلى ، وقتلت
(هلبراد) فى المباراة المقدسة .. كنت أنت أشجع
الفرسان ، وكنت لى وحدى ! »

★ ★ ★

يا للكارثة ! أشجع فرسان عالمهم ، الذى صارع
(البوركا) - يعلم الله ما هو - هو الآن خصمى
اللدود ..

نظر الجميع له ولى ، وهو أيضًا نظر لى فى غير

فهم ، على حين بدت فى عينى (ساندرا) الحقيقة ..
هذه المرة قد عرف قلبها الإجابة الصحيحة ..

قال (الميجور) وهو يعابث شاربه الكث :

- « كما ترى أيها القادم .. إن لدينا هنا (ميدا)
آخر .. »

صاح القادم فى ذهول غاضب :

- « كفى سخفاً ! هذا هو الدخيل الذى ذكرته
النبوءة .. بالطبع لم تسألوه عن القلادة وسلاح
(فى) ! »

- « للأسف هو يملكهما .. وأنت ؟ »

دون تردد مزق القادم أول زرين من قميصه ،
ليكشف عن القلادة المعلقة حول عنقه ، ولوح
بالعصا الشبيهة بالأبنوس .. ثم هتف موجهًا الكلام
إلى (ساندرا) :

- « كيف يمكن أن تقعوا فى هذا الخط ؟ »

قالت (ساندرا) وقد صار شكها يقيناً :

- « كانت الظروف ضدنا ، ويبدو أننا أبدنا الكومار
(مور) بسبب هذا الخطأ .. »

هنا قال (الميجور) بلهجة آمرة :

- « حسن .. لم يبق أمامى سوى أن آمركما بنزع
قناعيكما حالاً !

وصدع القدام بالأمر .. وبدأ بانتزاع عينيه كاشفاً
عن تلكما الفجوتين السوداوين بالضوء الأحمر
اللامع فيهما ..

نظر لى الجميع فى ارتياب ، فتنهدت باستسلام
وقلت :

- « حسن .. أعترف أنني دخیل .. لكنكم لم تتركوا
لى فرصة الاختيار .. كان على أن أكذب كى أظل
حيّاً ! »

- « وكيف حصلت على القلادة وسلاح (فى) ؟ »

- « لم أعرف مغزاهما وقتها .. كنت أبحث فى
غرفة (فور) وإذا بى أجدهما .. »

صاح (جيسون) العصبى دائماً :

- « الموت للدخيل ؟ »

ورفع سلاح (فى) فى الهواء واعتصره بقبضته
لكن - بالطبع - كان موقفه سخيلاً جداً ، لأن شيئاً
لم يحدث .. وقال الميجور فى إرهاق :

- « لاجدوى .. إن القلادة حول عنقه ، ولا يمكن
انتزاعها .. »

انفتحت أصابع (جيسون) العشرة وهو يتقدم
نحوى :

- « إذن نستعمل الأسلوب الأرضى اللفظ ! »

هذا الفتى متحمس للعنف أبداً .. لكنى لا ألومه
هذه المرة ..

لكن (ساندرا) لوحت بكفها ل تمنعه :

- « لا تفعل .. لا نريد اهتزازات هنا .. إن هذا قد
يفسد بروتوكولات (الإكلوس) كلها .. إن هذه القاعة
مقدسة ولن أسمح بأى عنف فيها .. »

- « إذن هل نتركه ؟ »

نظرت لى فى مرارة ، وقالت :

- « لم لا ؟ إنه عديم الخطر ، وهو لن يكون أكثر
من عينة إضافية تضاف إلى عيناتنا البشرية ..
سنأخذه معنا ! »

وهمست لى وهى تبتعد :

- « لقد خدعتنى .. ولسوف تدفع ثمن هذا غالياً ..
فيما بعد ! إن قلب الأنثى لا ينسى الإهانة ، وأنا أختلف
عنكم تشريحياً ونفسياً ، لكن قلبى قلب أنثى ..
لا تنس هذا ! »

★ ★ ★

الآن يا (ريم) راحت الأمور تجرى بسرعة ..

إنها التاسعة مساءً ، وقد انتهى حظر الكلام بلغة غير
الإنجليزية ، وقد راح القوم يركضون هنا وهناك ،
ينقلون تلك البلورات الغامضة من موضع لآخر ،
ويدلون لبعضهم بتقارير مفصلة بتلك اللغة العجيبة ..

نسى الجميع وجودى ، فاستندت إلى واحدة من
تلك البلورات ، ورحت أرمقها .. كانت أقرب إلى
جبل ذى قمتين .. استندت فوق كل قمة منهما كرة
بلورية شفافة لا تكف عن الوميض ، وتكتسب مائة
لون فى كل ثانية ..

كان من الواضح أن الأخ (ميدا) يتمتع بكفاءة
خاصة ، ولا أدرى كيف كانوا سيفعلون من دونه ..
لا بأس .. هو يتفوق على فى هذه النقطة على الأقل ..
الحق أنها خلية نحل غريبة ..

لكن - فجأة - بدأت أشعر بأنهم ليسوا راضين ..
ثمّة شيء خطأ لا أدرى ما هو .. وهم يتبادلون
الآراء ، ويسألون أسئلة كثيرة .. فجأة عادوا إلى
الكلام بالإنجليزية ..

قال الميجور موجهًا الكلام لى :

- « أيها الدخيل .. سنعطيك فرصة للنجاة .. »

- « هذا يسرنى .. »

- « ثمّة مشكلة تواجهه (الإكلوس) .. ولم يعد

بوسع واحد منا أن يغادر هذا القبو بعدما بدأ
البروتوكول .. عليك أن تخرج من هنا وتغادر
المنزل على الفور ، لكن عليك قبل مغادرته أن تغلق
الباب المحطم جيدًا .. الباب الذى اغتصبه (ميدا)
حين حاول اللحاق بنا .. »

قال (جيسون) فى عصبية :

- « وكيف تعرف أنه سيفعل ؟ إنه مخادع ! »

نظرة واثقة شاعت فى وجه الميجور المغضن ،
وقال :

- « سيفعل .. لأنه لو لم يفعل هذا لما استطعنا
الرحيل ، وعندها سنظل على الأرض ، ولسوف
نجدّه .. هو يعرف أننا سنجدّه ، وليكون انتقامنا
منه مريعًا .. »

لم أشك فى ذلك ، فهؤلاء القوم يمقتوننى حقًا ..

قلت واضعًا يدي فى جيب السروال .

- « اعتمدوا علىّ .. لن تكون هناك ألعاب هذه
المرّة .. »

قال الميجور :

- « نأمل هذا .. تذكر لمصلحتك الخاصة أن تغادر المنزل بأسرع ما يمكن ولا تنظر إلى الوراء .. ابتعد كأن الشيطان يطاردك .. ولا تنس أن القلادة لن تحميك منا خارج هذا القبو .. إن هناك طرقاً أرضية للانتقام ، و (جيسون) جيد استعمالها .. »
- « لم أشك في هذا لحظة .. »

ومن جيبه أخرج ورقة مطوية ، تبدو عليها علامات القدم ، وقال وهو يحدق في عيني :

- « مازلت أرى أن من حقك أن تفهم أكثر ، خاصة لو بقيت حياً .. هذه الورقة تحكى كل شيء .. »
ثم أشار إلى الفتحة التي دخلنا منها ، وقال :

- « والآن هيا وتذكر .. لن نرحمك لو ظللنا هنا .. »

نظرت لهم وقد وقفوا يرمقونني في شك ، وهزرت رأسي بمعنى أنني أحييهم تحية المساء ، ثم جثوت على ركبتى ودلفت من الفتحة المذكورة ..

كان التسلق عسيراً بعض الشيء ، لكنى وجدت حاجز المدفأة ما زال مفتوحاً ، وبشئ من الجهد استطعت أن أمرّ عبره لأصل إلى القبو المظلم ..

انتظرت ثانيتين حتى اعتادت عيناى الظلام ، ثم رحت أتحسس طريقى نحو باب الخروج ..

أخيراً ! كان أول مافطت هو أن صعدت إلى حجرتى فكومت ثيابى والكاميرا كيفما اتفق فى حقيبتى ، وجررتها إلى الطابق الأرضى .. وأخيراً استطعت أن أجد نفسى خارج المنزل رقم (5) .. أن أشم رائحة ظلام الليل وأرتجف من البرد الخفيف .

لم أأخذهم .. إن المرء يحترم تعهداته حتى مع الكائنات الغريبة ، لهذا تفحصت الباب جيداً ، وكان الأخ (ميدا) قد فتحه عنوة لكنه لم يهشم شيئاً ، وبقليل من الجهد تمكنت من غلقه بإحكام من خلفى ..

وابتعدت نحو عشر أو عشرين خطوة ، ثم تذكرت أن على أن أبتعد أكثر وبسرعة .. وهكذا - بقدر ما منحنى قلبى من قدرة - رحت أجدّ السير سريعاً ..



كان التسلق عسيرا بعض الشيء ، لكنني وجدت حاجز المدفأة
ما زال مفتوحا . وبشيء من الجهد استطعت أن أمر عبره
لأصل إلى القبو المظلم ..

وأخيراً ، وقد صار البيت خلفى بمسافة لا بأس بها ..
كهذه المسافة بين بيتك يا (ريم) ومتجر البقال ..
عندها فقط وضعت حقييتى على الأرض ورحت ألّهت ..

ومددت يدى فى جيبي أبحث عن كنزى .. البلورتين
اللتين قمت بسرقتهما دون أن يلاحظنى أحد .

على قدر علمى ستمنعهما هاتان البلورتان
المفقودتان من تنفيذ ما يريدون القيام به ..

لا أعرف حقاً ما ينوون القيام به .. يخيل إلى أنه
نوع من الفرار ، ولربما كان التدمير النهائى لكوكبنا ..
على كل حال لن أترك شيئاً للظروف .. مع ما أعرفه
من دقة بروتوكولات (الإكلور) هذه ، فهناك
احتمال لا بأس به أن يفشل الإقلاع ..

هل يجدوننى وقتها ؟ لا أظن .. سأذوب وسط
زحام (سيدنى) ، وبعد قليل أكون فى قارة أخرى
ومدينة أخرى ..

المهم أن تكون هاتان البلورتان مهمتين حقاً ..
ووقفت فى الظلام أرمقهما تتوهجان بذلك البريق

الغامض المهيّب ، وراحت ألوان لاحصر لها تترقّق
على عدسات منظاري ..

ثم ..

حدث شيء غريب ..

★ ★ ★

فى البداية خيّل إلىّ أن المنزل رقم (5) قد تم
دهاته كله باللون الأحمر .. بعدها استحال الأحمر
أزرق ..

وأدركت أنه يرتفع .. يرتفع للسماء ببطء لكن
بثقة .. ديناصور خرافى عملاق يحرّر نفسه من
قيود الخرسانة والأسفلت التى أحاطت به .

إنها الحقيقة إذن !

المنزل رقم (5) لم يكن سوى سفينة فضاء
متنكرة ! غالبًا السفينة التى جاعوا بها من مائة عام ..
السفينة التى وقفت وحدها وسط العراء أعوامًا ، ثم
لم تلبث الحضارة أن جاءت فجذّبتها وأحاطتها
بالشوارع ، وظلت واجهتها .. وما لم تعرفه مسر

(باتكروفت) قط أن زوجها - الأحق - ابتاع سفينة
فضاء كى يعيشا فيها ..

الآن كان المنزل قد ارتفع ثلاثة أمتار عن
منسوب الشارع ، وصار المكان جحيماً من الكهرباء
الإستاتيكية ، حتى انتصبت كل شعرة فى جسدى ..

بعدها عمّ المكان مجال مغناطيسى يشعرك بالغثيان ..
وسرعان ما استحال لون المنزل أبيض لامعاً كاللؤلؤ ..
أبيض مضيئاً من الداخل ..

ثم .. ثم تفتت !

وعاد الظلام يغمر المكان ..

ومددت يدى فى جيبي أبحث عن قلم الأبنوس فلم
أجده ..

وتحسست عنقى بحثاً عن القلادة فلم تكن هناك ..

★ ★ ★

خاتمة

فى الصحف ؛ طالعت تلك القصة الغريبة عن
المنزل رقم (5) الذى تحول إلى غبار فى الحادية
عشرة مساء اليوم العشرين من مارس ..

إن خبراء المفرقات يعرفون أشياء كهذه ،
ويعرفون أنك تستطيع تحويل منزل إلى مسحوق
غسيل ، لو أنك وضعت المتفجرات بحكمة فى
الطابق الأرضى منه ..

من العسير تمامًا استنتاج سبب الانفجار ، وقد
قام رجال الإنقاذ بكسح الأنقاض ، لكنهم لم يجدوا
ما يدل على سبب الحادث ، والجدير بالذكر هنا أن
صاحبة المنزل لم تكن موجودة .. كانت فى
المستشفى إثر إصابتها فى حادث سيارة غامض ..

★ ★ ★

جالسًا فى الفندق الحقيقى الذى استأجرت ليلتين فيه

يا (ريم) ، رحت أرشف الشأى وأطالع الصحف ..

ثم وضعت الصحف جانبًا ، وبحثت فى جيبى عن الورقة المطوية التى أعطانيها الميجور فى اللحظات الأخيرة .. فتحتها ، وكانت مكتوبة بإنجليزية منمقة تمت حتمًا إلى القرن الماضى ، وكان المكتوب كما يلى :

« إلى من يهمله الأمر ..

« يهمنى هنا أن يعرف من يجد هذه الورقة ، حكاية الأحداث العجيبة التى أدت بى إلى ملكية المنزل رقم (5) ..

« القصة هى أننى - أنا (جيمس أوسبورن) - لم أملك شيئاً فى حياتى ، وكنت أنتمى دومًا إلى تلك الطائفة واسعة الانتشار المسماة (المعوزون) ..

« لم أكن أملك إلا رقعة خربة من الأرض خارج (سيدنى) ، لا تصلح لشيء ، ولا يوجد بها ماء ولا شيء ، وقد تلقيت عروضًا لشرائها ببضعة ملاليم ..

« وفى ليلة من العام 1884 توهجت السماء الملبدة بالغيوم مرارًا ، ورأيت ضوءًا غامضًا يهبط من أعلى ، ثم أعمى الضياء عيني لربع ساعة . كنت فى منتهى الذعر ، وراحت الماشية تخور وقد انتابها الهياج .

« فلما استعدت بصرى ، وجدت أمامى بيتًا جميلًا من طابقين ينتصب وسط الغبار ، وكانت أجزاء منه ما زالت تتفرق بنار حمراء غامضة ، كالتى نراها فى قطعة الفحم بعد انطفائها .

« وانفتح الباب وبرز منه عدد من الرجال وامرأة .. كانوا يبدون كالبشر تمامًا ، فلم يقف قلبى هلعًا .

« كان أكبرهم يبدو كشيخ مُسنّ ويبدو أنه أكثرهم مكانة ونفوذًا هنا . أشار لى كى أدنو منه قليلًا فدنوت متوجسًا .. دعانى إلى الدخول خلفه إلى المنزل ، ولم أكن أملك الخيار ، لذا تبعته إلى المدخل ، حيث كانت قاعة جلوس أنيقة تضيئها الشموع . وقد قال لى :

- « لاتخف أيها الرجل الطيب .. هذا البيت الجميل

لك ، ولسوف أعطيك صكاً بملكيتك ، فعليك أن تذهب إلى البلدية ، وتنسبه لنفسك .. هذا البيت ملكك وملك أولادك من بعدك ، لكن لا تفرط فيه ولا تحاول أن تهدمه ، وإلا كان عقابنا شديداً .. »

« وهكذا وجدت نفسى أملك بيتاً جميلاً .. لم يسأل أحد أسئلة لأن البقعة كانت مقفرة مهجورة ، وقد تركنى هؤلاء القوم وحدى ورحلوا دون أن يقدموا لى أية تفسيرات ..

« احتجت إلى شهر أو شهرين كى أتخلص من هلعى ، واحتجت إلى عام حتى قررت أن أقيم فيه مع زوجتى وابنى .. وبعد هذا لم يعد الأمر عسيراً ، وراقت لى الحياة فيه .

« لكنى من آن لآخر أسأل نفسى أسئلة كثيرة : من هؤلاء القوم ؟ من أين جاءوا ؟ هل هذا المنزل منزل حقاً ؟

« لذا أكتب هذه الكلمات ، وأخبئها فى القبو ، لعل واحداً ممن يأتون بعدى يجدها ، ويبحث عن السرّ ويحله ..

« بالطبع سيرث ابني (ألفريد) البيت من بعدى ،
لكنه لن يعرف هذه القصة .. فقط سأوصيه ألا يهدم
المنزل أو يفرط فيه ، وأن يعمل على أن يرثه ولده
من بعد ..

« وأدعو الله ألا تكون هذه الصفقة تجديدًا ما
أو خرقًا لنواميس الطبيعة.

(جيمس أوسبورن)

بالطبع لم يكن مع هذه الورقة أى عقد من أى
نوع ..

وأدركت أن هذه الورقة ظلت فى القبو فترة ،
حتى عرف الميجور كيف يجدها ويحتفظ بها ، لأنها
تزيل الستار عن ميلاد المنزل رقم (5) .. ولولاها
لظلت لا أفهم شيئاً ..

عرفت كذلك أن (ألفرد) - ابن كاتب الرسالة -
قام بتجديد المنزل وأعطاه طابعاً عصرياً ، ثم باعه
لأنه لا يعرف أهميته الخاصة ، ولأنه لم ينجب ،
مما جعله يتحرر من عهد توريث المنزل لأولاده ..

هكذا اشترى مستر (بانكروفت) المنزل الوحيد
فى العالم الذى كان سفينة فضاء متحركة ! لم يخطر
ببال أحد أن غرفة المحركات الرئيسية تقع تحت
القبو ، ويصلون إليها عبر فتحة المدفأة ..

ثم دنا موعد الرحيل ، وجاء أشخاص متحمسون
يطلبون من العجوز أن تمنحهم غرفة هنا ، ويبدو
أنهم لم يكونوا فى البداية ميالين إلى العنف ، لكن
عناد العجوز وعنادى جعلاهم على استعداد للقتل ..
وقد كادوا يفعلون ..

لكنهم لم يضعوا فى اعتبارهم أن رجلاً يدعى
(رفعت إسماعيل) سيسرق بلورتين من غرفة
المحركات قبل الانطلاق ..

لقد صدع بأمرهم وتأكد من غلق باب البيت (لا يمكن
أن تطير سفينة فضاء وبابها مفتوح) ، لكنه كما
تعلمين خدعهم وسرق قلب المحرك .. ترى هل كان
هذا هو سبب انفجار المنزل ؟ أم أن خلافاً آخر فى
المحركات كان هو السبب ، وكما حدث مع مكوك
الفضاء (تشالنجر) فى الثمانينات ؟

ترى هل ماتوا حقاً ؟ أم أن لخلاياهم القدرة على
تحمل أشياء كهذه ؟ ولو لم يكونوا ماتوا فأين هم ؟
أتراهم يبحثون عنى للانتقام يوماً ما ؟

الحقيقة أن عدد الكائنات الموتورة التى تريد
رأسى قد ازداد أكثر من اللازم هذه الأيام ..

★ ★ ★

وفى الظهيرة ذهبت لزيارة المستشفى حيث كانت
مسز (بانركروفت) .. كانت قد تحسنت كثيراً ،
وإن ساعت ثانية حين عرفت أن منزلها قد تلاشى
من الوجود .

- « ما السبب ؟ لابد أن (ساندرا) المخبولة قد
تركت الموقد مشتعلاً ، وراحت تلهو كعادتها ! »

ابتسمت فى مرارة ، وقلت لها :

- « يمكنك أن تفترضى هذا الاحتمال ، فهو على
الأقل مريح ويبدو مناسباً لما نعلمه عن الكون ! »

وودعتها للمرة الأخيرة ، لأننى عائد إلى وطنى ،

فَقَالَتْ إِنَّ لَدَيْهَا مَدْخِرَات تَسْمَح لَهَا بِالْإِقَامَةِ فِي مَلْجَأٍ
لِلْعِجْزَةِ لِأَنَّهَا صَارَتْ عَجُوزًا حَقْمَاءً بَائِسَةً .. وَلَمْ
أَلْمَهَا كَثِيرًا عَلَى مَا قَالَتْ ..

وَعِنْدَ بَابِ الْمُسْتَشْفَى تَوَقَّفْتُ عِنْدَ صَنْدُوقِ مَهْمَلَاتٍ ،
وَتَخَلَّصْتُ مِنَ الْبُلُورَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَثْقَلْتَا جِيبِي .. مِنْ
أَدْرَانِي أَنَّهُمَا لَيْسَا جِهَازِي إِرسَالِ يَتِيحَانِ لِكَائِنَاتٍ
أُخْرَى مِنْ هَذَا الْعَالَمِ أَنْ تَقْفُو أَثْرِي ؟ كُلُّ هَذَا مُمْكِنٌ ..
حَقًّا كَانَتْ قِصَّةٌ غَرِيبَةٌ ..

تَسْأَلِينَ عَنِ الْمَغْزَى يَا (رِيم) كَعَادَتِكَ .. وَكَعَادَتِي
أَقُولُ إِنَّنِي أَكْرَهُ اعْتِصَارَ الْقِصَصِ لِيُنْزَلَ مِنْهَا مَغْزَى
مَا ، لَكِنْ - كَيْ أُرِيحَكَ - أَقُولُ لَكَ النِّصِيحَةَ التَّالِيَةَ :
قَبْلَ أَنْ تَسْكُنِي فِي مَنْزِلٍ جَمِيلٍ ، تَأْكُدِي أَوَّلًا مِنْ
أَنَّهُ لَيْسَ سَفِينَةٌ فُضَاءٌ مَتَنَكِّرَةٌ !

★ ★ ★

آنَ لِي أَنْ أُسْتَرِيحَ ..

لكنهم لا يستريحون ..

والمومياء كانت بانتظارى على أحر من الجمر ..

ولكن هذه قصة أخرى .

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط

الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

- | | |
|------------------------------|-----------------------------|
| 25- أسطورة الجنرال العائد . | 1 - أسطورة مصاص الدماء . |
| 26- أسطورة المواجهه . | 2 - أسطورة النداهة . |
| 27- أسطورتنا . | 3 - أسطورة وحش البحيرة . |
| 28- أسطورة آخر الليل . | 4 - أسطورة أكل البشر . |
| 29- أسطورة الجاثوم . | 5 - أسطورة الموتى الأحياء . |
| 30- أسطورة بعد منتصف الليل . | 6 - أسطورة رأس ميدوسا . |
| 31- أسطورتها . | 7 - أسطورة حارس الكهف . |
| 32- أسطورة رفعت . | 8 - أسطورة أرض أخرى . |
| 33- أسطورة أرض المغول . | 9 - أسطورة لعنة الفرعون . |
| 34- أسطورة الشاحبين . | 10- أسطورة حلقة الرعب . |
| 35- أسطورة دماء دراكيولا . | 11- أسطورة الكاهن الأخير . |
| 36- أسطورة الفصيلة السادسة . | 12- أسطورة البيت . |
| 37- أسطورة الدمية . | 13- أسطورة اللهب الأزرق . |
| 38- أسطورة النصف الآخر . | 14- أسطورة رجل الثلوج . |
| 39- أسطورة التوءمين . | 15- أسطورة النبات . |
| 40- وراء الباب المغلق . | 16- أسطورة النافاراي . |
| 41- أسطورة فرانكنشتاين . | 17- أسطورة حسناء المقبرة . |
| 42- أسطورة الكلمات السبع . | 18- أسطورة الغرياء . |
| 43- أسطورة تختلف . | 19- أسطورة بو . |
| 44- أسطورة رجل بكين . | 20- حكايات التاروت . |
| 45- أسطورة بيت الأفاعي . | 21- أسطورة عدو الشمس . |
| 46- أسطورة طفل آخر . | 22- أسطورة المينوتور . |
| 47- أسطورة المنزل رقم (5) . | 23- أسطورة رعب المستنقعات . |
| | 24- أسطورة إيجور . |